عاصم
STORE
رواية
جمال الحفنى
داخل
مقبرة الفرعون
رة الفرعون
I am Sorry !!!!!

داخل مقبرة الفرعون

رواية لـ جمال الحفني

https://www.facebook.com/Gamal.Hefney

لا أعلم إن كان من حسن حظي أو من سوءه أن تأتيني فكرة كتابة تلك الرواية قبل التحاقي بالقوات المسلحة بعدة ايام ، فكنت من مدمني قراءة الروايات وخصوصا الرعب والمغامرات منها وما إن فكرت في الكتابة حتي تقافزت الأفكار في رأسي وبدأت الخيوط تتشابك الي أن تكونت معظم أجزاءها في وقت وجيز ، بدأت في الكتابة في مطلع عام ٢٠١٦ وبعد أن كتبت بعض الصفحات التحقت بالقوات المسلحة ، يبدو ان الأفكار كانت حبيسة وكأنها موجودة في عقلي منذ ميلادي ورأت ان فرصتها قد حانت فاضطرتني لإصطحاب دفتري معي بجانب الاشياء الخاصة بالجندي الجديد ، أثناء فترة مركز التدريب كنت أقتطع بعض الوريقات واضعهم في جيبي بجانب البسكوت المحشو بالتمر والذي دائما ماكانوا ينصحونا به ليمدنا بالسعرات الحرارية لتعوض تلك التي نفقدها اثناء التدريبات ، في فترة الراحة كنت أخرج أوراقي واكتب بخط صغير جدا كي أضمن مساحة كافية وبعد أن أعود للعنبر كنت أنقلهم بخط واضح ومفهوم في الدفتر الخاص بالرواية ، تلك الحركة أكسبتني بعض من الاصدقاء محبي القراءة بالاضافة للقب الروائي الذي لازمني طوال مدة خدمتي ، أنتقلت الي وحدتي الاساسية وتناسيت أمر الرواية تماما الي حد الغاء فكرة تكملتها من الاساس وذلك لظروف نفسية مررت بها ثم شاء الله أن أعود من جديد في شهوري الاخيرة من الخدمة وأكمل الكتابة فكان دفتري الذي هجرته يلازمني أثناء نوبة حراستي لأقتطع جزءأ من فترة راحتي وأكتب قبل أن تبدأ نوبة

حراستي من جديد ، مالا يعلمه أحد أن الرواية كانت مهددة طوال تلك الفترة اذا وقع دفتري في أيدي اشخاص يجهلوا قيمته ولو حدث سوء تفاهم بسيط كنت سأصبح انا ايضا ومصيري مهددين لان كلمة البوابات المكررة في الرواية عدة مرات لسوء الحظ سمعتها لاول مرة في القوات المسلحة فكان من الممكن أن يظنوني جاسوسا او اتبع حزب سياسي مخالف لسياسات الدولة وأنقل معلومات لهم والحمد لله لم يحدث فكنت دائما حريصا علي دفتري وايضا جاهز ببعض الردود إن حدث ما اخشاه

سهل الله لي السبل وعرف عدد من قادتني أنني أمارس الكتابة وشجعني البعض منهم بشرط ألا تلهيني عن نوبة حراستي فزادني ذلك اطمئنانا ولكن القلق لم يغب عني ، ستجدون بعض التغيرات في كلماتي او اسلوبي او الحالة النفسية التي تسيطر علي اثناء قراءتكم للرواية فهذا شئ عادي لأنها كتبت علي فترات متفاوته كما أخبرتكم في السابق واخيرا أتمني من الله ان ينال مولودي الاول " داخل مقبرة الفرعون " إعجابكم ومحبتكم .

جمال الحفني

إهـــــداء

الي عمي الذي كان يعمل مدرسا في مدرستي الابتدائية وعرفني علي صديقة امين المكتبة فألفته وألفت مكتبته واصبحت القراءة هي اول هواية تتشابك خيوطها

داخل عقلي .

إهداء واجب

إلى جون وورنوك عالم الحاسوب ورجل الأعمال الأمريكي

ومخترع صيغة الpdf ، أهدى إليك مولودي الأول عرفانا مني بجميلك وحسن صنيعك ، فأنت من وفر لنا سبل القراءة وجعلنا نقرأ .

فور انتهائه من مباراة كرة القدم التي كانت نتيجتها فوز فريقه كالعادة، لملم حاجياته وانطلق عائداً إلى منزله؛ فهو في أمسّ الحاجه لحمّام ساخن يزيل به كمية العرق التي غزت جسده أثناء تلك المباراة، بالإضافة إلى تغيير ملابسه التي يتضح من هيئتها أن مرتديها قد خرج للتوِّ من مستنقع موحل.

بخطى منهكة يجاهد للوصول لمنزله وفي جعبته أمنية، وهي أن يجد أحداً من أصدقائه ممّن يمتلكون دراجات بخارية؛ ليُوصله للمنزل، ولكن لسوء حظه لم يجد، وظل على تلك الهيئة حتى وصل أخيراً بعدما فقد آخر جزء من طاقته، وجد الباب مواراباً مثله مثل أي منزل في الصعيد نظراً لما تتمتع به قرى الصعيد من الأمن والأمان على غير عادة منازل الوجه البحري، ففي صعيد مصر وبالأخص القرى الكل يعرف الكل، وإذا كنت غريباً فستعرف ذلك من خلال نظرات أهالي القرية لكَ، وكأن أدمغتهم عبارة عن سجل يحوي جميع وجوه سكان القرية.

دخل المنزل وقبل صعوده أولى درجات السلم سمع أصواتاً أقرب للهمس تنبعث من داخل المندرة، وهي عبارة عن حجرة واسعة توجد في الطابق الأرضي تساهم في نفس الغرض الذي تساهم فيه حجرة الجلوس عند أهل بحري من حيث استقبال الضيوف وما شابه، بخطى متثاقلة وصل إلى باب المندرة بعد أن أصبح الكلام

أوضح من ذي قبل، يبدو أن هناك ضيوفاً مع والده، تساءل في نفسه: هل يدخل ليلقي عليهم السلام ؟.

ولكنه يخشى أن يرسله والده لشراء شيءٍ من الخارج كالسجائر مثلاً؛ فهو لا يستطيع أن يذهب لأي مكان، بل يريد مَن يقوم بحمله ليوصله لغرفته، ولكنه سمع صوت عمه بين تلك الأصوات فقرّر الدخول وإلقاء السلام، وليحدث ما يحدث، فهو لم يرَ عمه منذ بضعة أيام؛ وذلك لطبيعة عمله خارج القرية حيث يتغيب خمسة أيام ويعود ليقضي يومين؛ إجازة في بيته مع أسرته، فتح الباب وألقى التحية، صمت الجميع على غير العادة عندما يلقي أحد ما التحية على جمع من الناس وحملقت فيه العيون ، فاستنتج أهمية الحديث الذي كانوا يخوضون فيه، قاطع عمه ذلك الصمت وقام يصافح ابن أخيه بحرارة.

ولكن مهلاً مَن ذلك الشيخ الذي يرتدي جلباباً أبيض، ولحيته تتدلى حتى منتصف بطنه؟.

هو لم يرَه في القرية من قبل، ولكن بعدما أبعد نظره عن ذلك الغريب وجد أباه ينظر إليه بنظرة يفهمها جيداً، معناها أن غادر المندرة الآن، وذلك لخصوصية الموضوع الذي يتحدثون فيه، استأذن منهم وذهب؛ ليأخذ حمّامه الساخن ويصلي المغرب قبل أن يؤذن العشاء.

***

- ولكن ما المدة التي سوف تقضيها في تلك الحجرة ؟.
- يومان وربما ثلاثة أيام على حسب قوة حراس المكان، لكن كل ما عليكم هو بناء الحجرة في الركن الذي أخبرتكم به من قبل، وليس من الضروري أن تكون حجرة كبيرة، فأنا أريدها تتسع لشخصين فقط .

- سيتم لك هذا .
- ولكن قبل أي شيء أريد إخباركم بأن تلك ليست أسفل منزلكم مباشرة، ولكنها تقبع تحت المنزل الذي في واجهة منزلكم، وأنا سأقوم بنقلها وجعلها هنا، وبالأخص تحت الحجرة التي سوف تقومون ببنائها.

- وهل تستطيع فعل ذلك، أعني هل هذا ممكن ؟.

- بالطبع بإمكاني ذلك، ولكنني سأحتاج بعض الترتيبات والحاجيات التي سأحضرها معي في المرة القادمة عندما نبدأ في التنفيذ، وتكونون قد انتهيتم من بناء الحجرة كما اتفقنا.

***

- مَن ذلك الغريب الذي كان معكم أنت وعمي عباس يا أبي؟.

أفاق الأب من شروده على هذا السؤال الذي وجهه إليه ابنه محمود، وقال بكلمات مقتضبة وهو يمضغ طعام العشاء:

- إنه أحد معارف عمك .
- لماذا إذن جاء إلى منزلنا ولم يذهب لمنزل عمي؟.
- كفّ عن أسئلتك هذه، وأمسك زمام فضولك قليلاً فسأخبرك كل شيءٍ فيما بعد.

انتهى الجميع من تناول العشاء، وقامت الأم وذهبت بالأطباق إلى المطبخ، وسألت زوجها: عمَّ إن كان يريد بعض الشاي لتقوم بتحضيره؟، فأجابها بالموافقة، وطلب منها أن ترسل له الشاي مع محمود في المندرة ، بعد أن انتهت الأم من إعداد الشاي نادتْ علي محمود ليذهب به لأبيه.
دخل محمود المندرة وهو يحمل صينية عليها كوب صغير من الشاي مع كوب يكبره حجماً يحتوي على الماء، ووضع الصينية بجوار والده الذي لم يشعر بوجوده إلا بعد أن انحنى بجواره ليضع الشاي .

- اجلس يا محمود، أريد أن أخبرك بشيء ما، ولكن أريدك أن تعدَني بأن تجعل كل شيء أقصه عليك سراً، وألا تخبر به أحداً.

- أعدك يا أبي.

لم يجد الأب مانعاً في أن يحكي لابنه عما ينوي هو وأخوه فعله، وخاصة أن محموداً لم يعد صغيراً؛ فقد أكمل عامه السادس عشر منذ شهرين واسترسل الأب في الحديث قائلاً:

- عندما انتشرت في بعض القرى حكايات عمّن بحثوا عن آثار بداخل منازلهم ونجحوا في إيجادها، والثروة التي يجنيها أولئك المُنقِّبون بعد بيع تلك الآثار، وكيف أنهم أصبحوا من أصحاب الملايين؟، لعبت تلك الحكايات والأفكار برأس عمك وأراد أن يبحث هو الآخر؛ لعله يجد مثلما وجدوا، ويصبح مثل أولئك الأغنياء، وأخبرَني عمّا ينوي فعله، وطلب مني أن نتشارك سويَّاً في البحث عنها، والتي ربما نجدها في منزله أو منزلنا، وبعد إلحاح منه وافقت؛ فلن نخسر شيئاً إن جربنا نحن أيضاً، وقبل أن يكمل قاطعه محمود متسائلاً:

- ولكن أليست أموال الآثار حراماً يا أبي ؟.

سرح الأب قليلاً في سؤال ابنه، وكأن السؤال أصاب وتراً حساساً كان يشغل تفكير الأب وهو حول ماهية نقود الآثار هل هي حلال أم حرام؟، وأجاب أخيراً:

- لا أعلم ولكن تلك الأموال لم يتمَّ سرقتها على الأقل، وإنما هي ثمن كنز متواجد أسفل منزلك، كان الوالد يعلم في قرارة نفسه أنه مخطئٌ، ولكنها النفس البشرية التي يمكنها تبرير الزنا نفسه إن كان يشوبه مصلحة شخصية؛ فكل منا لديه فطرته التي خلقها الله عليها والتي تمكنه بسهولة جداً أن يحكم على الأمور إن كانت خطأ أو صواباً، ولكن إن كانت ذا فائدة فبإمكان النفس أن تقنع صاحبها أن ما يفعله هو عين الصواب.

- ظل عمك يبحث عن شيخ من الشيوخ المتخصصين في ذلك المجال، فكما يعلم هم كثيرون جداً، ولكن أقل من عشرة بالمائة منهم مَن يستطيع أن يعرف إن كان المنزل به مقبرة فرعونية أم لا؟، وذلك بالاعتماد على نفر من الجن والذين يلازمونه دائماً بالإضافة أنه بواسطتهم أيضا يمكن فتح المقبرة بدون أن يمسّه أذى من حراسها، أما باقي الشيوخ فهم مجرد دجالين يبحثون عن بعض المغفلين؛ ليقوموا بخداعهم، وبعد قرابة ثلاثة أشهر من البحث المتواصل وتحرِّي الدقة توصل عمك أخيراً إلى ذلك الشيخ المدعو عبد المتجلي الذي وجدتَه يجلس معنا عصر اليوم، ثم جاء به عمك إلى القرية وجعله يزور منزله أولاً، ولكن الشيخ لم يجد شيئاً ثم اتصل بي ليخبرني أنهم في الطريق إلينا؛ لعلهم يجدون شيئاً في منزلنا، وأيضا لم يجد الشيخ شيئاً في منزلنا، وقبل رحيله توقف بُرهة كأن هناك مَن يخبره شيئاً، ولكننا لا نراه أو نسمعه، ثم استدار وأخبرنا أنه توجد مقبرة فرعونية في منزل جارنا عمك أبى محمد، وأخبرنا أيضاً أنه يستطيع أن يقوم بنقل تلك المقبرة؛ لتكون أسفل منزلنا مباشرة، ثم أمرنا أن نقوم ببناء حجرة صغيرة لكي يمكث فيها طوال الفترة التي سيقضيها في استخراج كنز هذه المقبرة، قاطعه محمود للمرة الثانية ممَّا دل على اندماجه في الحديث:

- ولكن هل يمكنه فعلاً نقل شيء من مكانه إلى مكان آخر بالإضافة أنه يقبع تحت الأرض؟.

أجاب الوالد في بلاهة:

- أعتقد ذلك؛ فهؤلاء يملكون قدرات عديدة نتيجة تعاملهم مع الجان والعالم السفلي.
- متى سيأتي ذلك الشيخ مرة أخرى؟.

قالها وحِسّ المغامرة بدأ يتسلل إليه رويداً رويداً.

- لقد أخبرنا بأنه سيذهب لعمل بعض التجهيزات، وجَلْبِ بعض المواد التي سيستخدمها في تلك المهمة، وسيعود بعد ثلاثة أيام، وعلينا خلال تلك الأيام أن ننتهي من بناء الحجرة قبل عودته.

***

تم الانتهاء من بناء الحجرة، وبالطبع قام ببنائها خليل والد محمود بمساعده أخيه عباس، حيث لم يقم بتأجير عامل للبناء فالغرفة صغيرة، ولا تحتاج الكثير من العمل ناهيك عن إبعاد الشكوك والتساؤلات التي سيطرحها ذلك العامل عن الغرض من بناء حجرة صغيرة بهذا الحجم لا تتعدى المترين طولاً، ومثلهما عرضان، وتم استخدام الطوب اللِّبِن والطين في البناء كما أوصى بذلك الشيخ عبد المتجلي.

بعد انقضاء يومين اتصل بهم الشيخ وأخبرهم أنه سيأتي في اليوم الثالث كما حدده سالفاً، ولكنه سيأتي ليلاً كي لا يراه أحد من سكان القرية بعدما أخبره عباس أن بعض التساؤلات دارت

في نفوس الجيران حوله، وماذا يفعل في منزل خليل؟ لذلك قرر أن يأتي ليلاً كي يمنع تلك الشكوك في الظهور مرة أخرى، بالإضافة إلى أنه سيمكث في المنزل يومين ممّا سيزيد منها بالتاكيد.

في اليوم الثالث بعد العشاء ذهب عباس إلى منزل أخيه، وجلسا ينتظران قدوم الشيخ عبد المتجلي، وكوسيلة لقتل الوقت طلب خليل من أخيه أن يقص عليه كيف اهتدى لذلك الشيخ؟، وهل هو أهل للثقة أم مثله مثل باقي الدجالين؟، حيث إن خليل خلال اليومين المنصرمين كان يتحرى الأخبار ويسمع القصص حول أشخاص مثلهم حاولوا البحث عن الآثار وجميعهم تم خداعهم عن طريق بعض الدجالين، وأن عدداً قليل جداً منهم مَن استطاع فعلا أن يُخرج الآثار المدفونة في بيته، أثناء الحديث علم خليل أن أخاه عرف ذلك الشيخ عن طريق زميل له في العمل، وأخبره ذلك الزميل أن هذا الشيخ ليس دجالاً، وإنما قد سمع العديد من سكان قريته الحكايات التي تثبت قدرته وإمكانيته في استخراج الآثار من باطن الأرض بمساعدة نفر من الجن.

بعثت تلك الكلمات الأخيرة في نفس خليل بعض الطمأنينة، وهدَّأت من نفسه المضطربة، ثم تغيرت دفة الحوار حول موضوعات أخرى مثل القرية والعمل والأولاد حتى شارفت الساعة على منتصف الليل.

- لِمَ كل هذا التأخير؟، لقد أصبحت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ولم يأتِ بعد ؟.

قالها خليل بعدما شعر بملل الانتظار قد بدأ يتسرب إليه ثم أكمل قائلاً:

- هل يمكن ألا يأتي بعد كل ذلك ؟.
- لا أعتقد هذا؛ فمثل هؤلاء يعرفون جيداً ما يفعلونه، وكل شيء يحسبون له ألف حساب قبل أن يقدموا على فعله، قاطع حديثه صوت هاتفه المحمول؛ ليخبره أنّ هناك مَن يريد محادثته، استنتج الاثنان أن المتصل بالتأكيد هو الشيخ عبد المتجلي، وبالفعل كان هو، أجاب عباس على المكالمة، وقبل أن ينطق سمع صوت الطرف الآخر يقول في هدوء:
- خمس دقائق، وأكون أمام المنزل ، فأنا بالقرية الآن.
- في انتظارك .

قالها عباس قبل أن ينهي المكالمة وينظر لأخيه قائلاً:

- ألم أخبرك ؟ هيا ننتظره أمام المنزل.

خرج الاثنان لانتظار الشيخ عبد المتجلي في الخارج، وبالطبع لم يكن أحد في القرية مستيقظاً حتى هذه الساعة من الليل، فجميع سكان القرى ينامون بعد العشاء مباشرة كالدجاج، وذلك نظراً لوجود شريحة كبيرة منهم تعمل في مجال الزراعة، وقبيل شروق الشمس هو موعدهم المحدد للاستيقاظ، كل هذه الأسباب جعلت الأخوين يسمعان صوت محرك السيارة من قبل حتى أن تظهر أمام أعينهما.

توقفت السيارة بجوارهما، وترجل منها الشيخ عبد المتجلي، وبشيء من شهامة أبناء الصعيد أسرع عباس ليدفع الأجرة للسائق، والذي بعد أن أخذ أجرته غادر ليبقى ثلاثتهم أمام منزل خليل وبنبرة سريعة قال:

- تفضلوا .. تفضلوا .

بعد دخولهم المنزل أروه الحجرة التي بنوها كما طلب منهم سلفاً، وسألوه عن إن كان يريد شيئاً آخر؛ ليفعلاه بعد بناء الحجرة.
- أحتاج لكمية من الطعام تكفي ليومين؛ لأنني بمجرد دخولي لتلك الحجرة لن أخرج منها، بالمناسبة أين ذلك الفتى الذي رأيته في المرة السابقة ؟.

- وما حاجتك إليه ؟.
قالها خليل بنبرة يملؤها التوتر.
- سيكون رفيقي ومساعدي خلال اليومين اللذين سأقضيهما في الحجرة.
نظر خليل وعباس لبعضهما البعض بعد جملة الشيخ عبد المتجلي الأخيرة نظرة يشوبها القلق، ولكنها كانت واضحة على وجه خليل أكثر؛ لأنه ابنه الوحيد، ولا يمكنه المخاطرة به، فلتذهب الآثار والملايين إلى الجحيم، فهم الشيخ عبد المتجلي ماهية نظرتهم تلك فاستطرد قائلاً:

- أعلم أنه يوجد في هذا المنزل سلاح آليّ، وبالأخص في حجرة نومك يا خليل، وها أنا أخبرك إن حدث جرح لابنك أو حتى خدش صغير، فأفرغْ خزينة هذا السلاح في رأسي، ولن يكون هناك دليل ضدك، فلم يشاهدني أحد وأنا أدخل منزلك سوى أخيك عباس، والذي بالتأكيد لن يبلغ الشرطة عنك، بل على العكس سيمثل بجثتي، ثم أصدر بعض الضحكات .
طمأنت تلك الكلمات الأخوين، فبالتأكيد لن يضحي هذا الشيخ بنفسه من أجل لا شيء، وأيضا واضح على وجهه أنه واثق

جداً بنفسه وقدراته، حينها نظر عباس لخليل نظرة فيما معناها أن كل شيءٍ على ما يرام، ولا داعي للقلق فهو أصبح يثق في هذا الشيخ بعد كلامه الأخير.

- موافق .

قالها والد محمود بعد فترة لا بأس بها من التفكير ثم أكمل:

- وإن حدث مكروه لابني فلن أقتلك بسهولة، وإنما سأقوم بحرقك حياً؛ كي لا تتبقى لك جثة أو أثر.

بلهجة واثقة جداً ونبرة مُطمئنة قال الشيخ عبد المتجلي:

- موافق ، والآن أين هو؟.

- نائم ، سأذهب لإيقاظه.

غاب خليل فترة قليلة وعاد ومعه محمود وبعض الطعام كما أخبره الشيخ عبد المتجلي أنه سيحتاج لِما يكفي ليومين، كان جلياً على محمود أثر النوم وأنه لا يفهم ما يحدث حوله، ولكن بمجرد رؤيته للرجل الغريب أفاق متعجباً من وجود هذا الشيخ في منزلهم في تلك الساعة المتأخرة من الليل، وبنبرة ودودٍ تحدث الغريب قائلاً:

- ما اسمك يا بني ؟

- محمود ، قالها وعلامات الدهشة مازالت واضحة علي قسمات وجهه .

- هل تعرف سبب وجودي في منزلكم ؟

- نعم لقد اخبرني أبي عما ينوي فعله هو وعمي عباس .

- جميل جداً فقد قصّر علي والدك الطريق ، ولكن أخبرني ما رأيك في أن تلازمني ليومين في تلك الحجرة وأن تكون مساعدي وأعدك أن اجعلك تخوض تجربة لن تقوم بمثلها بقية حياتك ؟.

نظر محمود بارتباك لوالده الذي ظل صامتاً بعد الجملة الأخيرة للشيخ، فعالجه بنظرة مُطمئنة بألا يقلق، علم حينها أن كل شيءٍ مرتَّب له من قبل، ووجد أن الفرصة سانحة لتحقيق حلمه القديم :

- موافق، ولكن لديَّ شرط .

- وما هو شرطك ؟

- طلبت من أبي في العام الماضي أن أتقدم للتسجيل في إحدى أندية كرة القدم ولكنه رفض ذلك متعللاً بتعليمي ومستقبلي ، إن وافق أبي علي ذلك الأمر فسألازمك في الحجرة أسبوعاً إن أردت، وليس يومين فقط .

نظر الشيخ إلي الأب والذي بدأ بدوره في التفكير حيال شرط ابنه، فإن وافق واستطاع الشيخ أن يُخرج الكنز فسيصبح من أصحاب الملايين، وليس هناك داعٍ للقلق علي مستقبل ابنه المادي؛ فقد كان يخشى مثله مثل أي أب حيال حياة أولاده من بعده ومَن سيعولهم؟ ، فقد كان في السابق يطمح أن يلتحق ابنه بإحدى كليات القمة كما يسمونها؛ ليضمن له دخلاً شهرياً محترماً يستطيع أن يتقوى به على أمور الحياة التي بمرور الوقت تزداد صعوبة، وعندما فرغ من التفكير الذي دام بعض الدقائق قال بنفاد صبرٍ:

- موافق .

- والآن الخطوة الأولى التي ستشتركون فيها جميعكم، ففي زيارتي السابقة أخبرتكم أن المقبرة ليست أسفل منزلكم، ولكن أسفل المنزل المواجه لكم، وإن علينا نقلها إلى المنزل هنا، وبالأدق جعل بابها يقع مباشرة أسفل الحجرة التي قمتم ببنائها، ثم وجَّه نظرة ناحية إلى محمود بعد أن كان ينظر لهم تباعاً الواحد بعد الآخر ليرى وقْع كلماته عليهم :
- عليك أن تقوم بخلع جميع ثيابك، ثم تأخذ تلك الزجاجة وأخرج من حقيبته زجاجة تشبه زجاجة دواء ثم تابع حديثه:
- ثم تذهب للمنزل المواجه لمنزلكم وتدخل إليه، ستجد أن الجميع يغطُّ في سبات عميق وستجد في الركن الشمالي للمنزل بقرةً تأكل بعض الحشائش الموضوعة أمامها بداخل " المِخْوَلْ "

ستقوم بسكب الماء أسفل المخول، ثم تتحرك ببطء عائداً أدراجك وألا تسرع خطاك أو تحدِّث أحداً مهما حدث، فمبجرد سكبك للماء الموجود في هذه الزجاجة ستلتصق بك المقبرة وكأنها عضو من أعضاء جسدك، وفي أي مكان تتجه إليه ستكون معك، ولن يفصلك عنها سوى الأرض التي تمشي عليها ثم تتجه بخطى ثابتة نحو تلك الحجرة وأشار إلى الحجرة التي بناها والده وعمه ثم أكمل:

- وعليك ألا تخرج منها وأنا سأحمل ملابسك وآتي خلفك.

اندهش الجميع بعد سماعهم لخطة الشيخ العجيبة تلك، والأعجب هو كيف عرف خريطة منزل جارهم؟ .

وبشيء من الحرج أخذ محمود ينزع ملابسه شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح عارياً تماماً، ولكنه ما لبس أن زال الحرج من وجهه تدريجياً؛ فليس هنالك أحد غريب، هذان والده وعمه،

وذلك الشيخ لن يراه مرة أخرى، إذن لا حرج من ذلك، بالإضافة إلى الوعد الذي وعده إياه والده بموافقته على التحاقه بنادي لكرة القدم، ثم أخذ الزجاجة من الشيخ عبد المتجلي، وخرج والده وعمه أمامه وكل واحد منهم يراقب جهة من جهات الطريق؛ ليسهلا عليه الأمر، وإذا شاهدوا أحداً يقومون بتشويشه كي تسير خطتهم على ما يُرام.

كان المنزل الذي يحتوي على المقبرة يوحي بمدى بساطة أهله؛ فرَبُّ العائلة مجرد عامل يكسب قوت يومه، يوماً بيوم، بالإضافة إلى البقرة التي لديهم تساعدهم في أمور الطعام؛ فهي تعطيهم اللبن والجبن والسمن .
تسلل محمود إلى المنزل المكون من الطابق الأرضي فقط، فلو كان مكوناً من طابقين أو عدة طوابق لكانت مشكلة، ولكن دور واحد مقدور عليه، فهو رياضي من الدرجة الأولى وطالما حسده أصدقاؤه على خفته ورشاقته بعد الانتهاء من مباريات كرة القدم، تسلق جدار المنزل الأمامي وساعده على ذلك أيضاً الطوب اللبن؛ فهو غير متساوٍ بالإضافة إلى وجود عدة شقوق قد حفرها الدهر في ذلك الجدار.
وبخفه أصبح أعلى الحائط ثم نزل من الناحية الأخرى، واختفى عن أنظار والده وعمه اللذين كانا يراقبان المشهد من بعيد.

أول ما قام به هو أن فتح باب المنزل وجعله مواربأً؛ كي لا يتسلق الجدار مرة أخرى، فكما أخبره ذلك الشيخ بأن المقبرة ستلتصق به، فكيف يتسلق الجدار والمقبرة تلازمه؟!، كانت خطة ذكية منه دلّت على مَدى فهمه وإمكانية استيعابه،

وبالفعل وجد كل ما قاله الشيخ صحيحاً؛ فالجميع نائم عدا البقرة التي تأكل من بعض الحشائش الموضوعة أمامها، أسرع الخُطى حتى وصل " للمخول " الذي تأكل منه البقرة وقام بسكب الماء أسفله، وعند نزول آخر قطرة ماء من الزجاجة شعر بقدمه وقد أصبحت ثقيلة كالجبال وكأنه قطعة حديدٍ صغيرة أسفلها مغناطيس ضخم.

استدار عائداً لينهي ما بدأه وتذكر كلمات الشيخ عبد المتجلي بألَّا يسرع خطاه، هو بالفعل كان لا يسرع خطاه بل يفعل ذلك مجبراً لا مخيراً؛ بسبب ذلك الشيء الملتصق بقدمه من الأسفل، مَن يرَ محمود من بعيد وهو يمشي بتلك الخطى فسيظن أنَّه ربما طفل صغير يتعلم المشي حديثاً.
ها هو قد وصل لمنتصف المنزل وبالتحديد أمام واحدة من الغرفتين الوحيدتين؛ حيث إن باقي المنزل مفتوح للسماء، وأخذت الأفكار تضرب برأسه كالنجار الذي يثبت عدداً لا حصر له من المسامير، وبدأت التساؤلات تأتي واحدة تلو الأخرى، ماذا لو استيقظ أحدهم ليذهب للحمام أو ليشرب مثلاً؟
ما موقفه حينها؟، وكيف يبرر له فعلته هذه ؟
سيعتقد الشخص بالتأكيد بأن جارهم محمود يمارس ضرباً من ضروب السحر مثلاً أو إحدى الطقوس الشعائرية عند الهنود الحمر.
أتي السؤال الذي يليه والذي جعل محمود يتصبب عرقاً بالرغم من أنه لا يرتدي شيئاً، ناهيك عن أنهم في فصل الربيع.
ماذا لو رآه محمد في تلك الهيئة ؟

ومن لا يعرف فمحمد هذا هو النوع الثاني من الأصدقاء، فالأصدقاء نوعان كما يعتقد محمود، النوع الأول هو الذي يلازمك دائماً في سعادتك أو محنتك، هو الذي يذهب معك إلى أي مكان، ويلبي لك أي طلب، هو الذي إن حدث شيء ما بينكما وتخاصمتما فلن يزيد الخصام عن يوم أو اثنين،وسترجع المياه لمجاريها كما كانت .

أما النوع الثاني فمحمد هذا منهم، وهو الذي يعتقده سكان القرية وجيرانك ووالداك أنه صديقك لمجرد أن رأوه يجلس في مجلسك أو يلعب الكرة معك، ذلك النوع الذي يحمل الضغينة لك، ولا تطيق الجلوس منفرداً معه، أو يتسع صدرك لتحكي له مشكلة أو ورطة ما، وتطلب منه المساعدة أو النصح.

كان المدعو محمداً هذا من النوع الثاني إن لم يكن أعلاهم مرتبة؛ فهو يبغض محمود والآخر يبغضه أيضاً، وإذا لعبا كرة القدم كان كلٌّ منهم في فريق؛ فالاثنان لديهما المهارة وسرعة المراوغة مما يجعل المنافسة محتدة بينهم دائماً، والحالة الوحيدة التي يلعبان فيها في نفس الفريق كانت عندما يخبرهم مسؤول النشاط الرياضي في المدرسة أن مدرستهم لديها زيارة لإحدى مدارس القرى المجاورة وأن هناك مسابقات ستقام بين المدرستين من بينها مسابقة لمباراة كرة القدم ، في هذه الحالة فقط كانا يلعبان في فريق واحد ويمثلان اسم مدرستهما، وبالرغم من أنهما يلعبان بجوار بعضهما مُكرَهين إلا أنهم دائماً ما يقدمان مباريات يشيد بها جميع المتفرجين حتى مسؤول النشاط نفسه كان يشيد بها أمام ناظر المدرسة عند لحظة تكريمهم من مدرستهم واستلام الجوائز، فكان كل واحد منهما يقدم كل ما لديه؛ ليثبت أنه الأفضل .

أصبح محمود يحدث نفسه " لو استيقظ محمد ورآني فسأموت حرجاً ".

بالتأكيد لم يمت أحد من قبل بسبب موقف محرج وضع فيه، ولكنني سأموت بالطبع، وسيصبح اسمي وقصتي كالعَلكة في فم أصدقائي، وجميع سكان القرية، ها هو باب الخلاص لم يتبقَّ عليه سوى مترين أو أقل، ها هما خطوتان .

- محمود .

نادى محمد، شعر محمود حينها بشعور غريب جداً عندما يندفع الأدرينالين بقوة في جسدك، وتضطرب دقات قلبك وتدق كطبول أفريقية مجنونة، كان يعلم أن سبب سرعة دقات القلب هو عند القيام بمجهود ما مما يجعل القلب يحاول جاهداً أن يقوم بإيصال الدم إلى جميع أطراف الجسد عن طريق تلك الدقات السريعة، كان محمود ثابتاً كأحد أصنام الجاهلية، فما الذي يجعل القلب يسرع في النبض هكذا ؟ بإمكاننا بالتأكيد هزيمته، ولكن كل ما عليكم هو تمرير الكرة لي وعليكم أن تحصنوا الدفاع جيداً.

يااااا إلهي، لقد كان يهذي أثناء نومه، حقيقة استدركها محمود بعد تلك الجملة الأخيرة ببعض الدقائق، والتي كانت كفيلة بأن تزيل الخوف الذي رُسم على وجهه، وتجعل قلبه أيضاً يعود لنبضه الطبيعي ، عجباً لهذا القلب فمحمود لم يحرك ساكناً، فلماذا أسرعت نبضاته؟، بل لماذا أيضا عادت لطبيعتها مرة أخرى؟، ولكن ليدعْ تلك التساؤلات في وقت آخر، كم كان يتمنى أن يذهب لغرفة محمد وينهال عليه ضرباً أو أن يقوم بحبسه في تلك المقبرة التي أسفله بعدما يأخذون مقتنياتها لِما سببه له من هلعٍ في تلك الثواني القليلة!، ولكن ليس لديه وقت، يجب أن يغادر ذلك المنزل الآن .

خطا أولى خطواته في الشارع، وحينما رآه والده هرع إليه قبل أن يراه عمه هو الآخر، وترك كل منهما دور المراقبة الذي كان يقوم به، وفي أعينهما التساؤلات حول كل هذا التأخير، بالتأكيد لا يستطيع التحدث الآن، ولكنه بإشارة فهم مرادها والده أن يقوم بإغلاق الباب الذي خرج منه للتوِّ، بينما عمه يتولى مهمة إرجاعه للمنزل.

قام خليل بإغلاق الباب ببطء حتى سمع صوت المزلاج يعود لمكانه الطبيعي كما كان، ولحق بأخيه وابنه العاري حتى دخل الثلاثة إلى المنزل بأمان، كانت المهمة قد انتهت بالنسبة لهم، ولكن مهمة محمود لم تنتهِ بعد؛ حيث كان عليه أن يدخل الحجرة؛ لتصبح المقبرة أسفلها، ثم ملازمة الشيخ عبد المتجلي في الحجرة ليومين .

بمجرد دخول محمود إلى الغرفة أسرع الشيخ عبد المتجلي بأخذ الطعام وملابس محمود وحقيبته التي كانت معه ودخل الحجرة وقبل أن يغلق الباب نظر إليهم وقال:

كما أخبرتكم، سنغيب ليومين، وإياكم وفتح الباب مهما حدث، وكل ما عليكم هو الانتظار، ولا شيء سوى الانتظار.

بداخل الحجرة يقف محمود ينتظر ما يمليه عليه الشيخ بعد أن أعطاه ملابسه وشرع في ارتدائها:

رائع يا محمود لقد أبليت حسناً .
قالها الشيخ عبد المتجلي مبتسماً.

- شكراً لك، ولكن فيمَ ستحتاجني؟، هل سأفعل شيئاً آخر؟.
- ستكون مساعدي في هذه الحجرة؛ لأنني سأطلب منك بعض الأشياء التي ستقوم بها، بينما أقوم أنا بفعل أشياء أخرى،

وأيضاً لا تنسَ أن المقبرة تتحرك وفقاً لخطواتك؛ لذا كل ما عليك فعله هو الانتظار معي، أم أنك لا تريد ذلك ؟.

- بالطبع أريد؛ فأنا أحب المغامرة بالإضافة أنني وعدت والدي أن أمكث معك ليومين؛ كي يوفي بوعده لي .
- إذن، ابقِ مكانك، وحينما أريد منك شيئاً فسأخبرك.

أخرج الشيخ عبد المتجلي من حقيبته بعض القصاصات الورقية وقام بتوزيعها أسفل جدران الحجرة وأخذ يشعل النار في الواحدة تلو الأخرى، وهو يتمتم ببعض الكلمات التي لا يفسرها محمود ثم أخرج قداحة وراح يشعل النار في تلك القصاصات، هناك شيء غريب في لون النار المشتعلة بتلك القصاصات والدخان المتصاعد أيضاً له شكل غريب؛ فالنار والدخان لهما نفس اللون وهو الأحمر القاتم ، تصاعد الدخان أعلى الجدار حتى نقطة ما، ثم بدأ بتشكيل شيء ما، كل قصاصة من القصاصات يتشكل أعلاها ذلك الشيء بالتدريج؛ فالقصاصة الأولى التي تم إشعالها بدأت في تكوين رأس وبتصاعد الدخان أخذت الرقبة في التكون والقصاصة الثانية كونت الرأس، وها هي عند مرحلة الشفاه ثمَّ الذقن والثالثة كونت مقدمة الرأس والعينين وفي طريقها لتكوين الأنف والفم وهكذا بقية القصاصات.

كل هذا ومحمود ينظر للحائط بوجه تحتويه طبقة من الخوف والهلع بالإضافة إلى القشعريرة التي أصابت جسده وهو لا يقوى على الكلام أو الحراك، انتهت النار من التهام القصاصة الأولى وذلك واضح من اكتمال الشكل الذي كونته، وكان عبارة عن مخلوق يشبه الإنسان إلى حد ما، ورأسه أكبر نسبياً من جسده، وفي مقدمة رأسه يوجد قرنان صغيران كقرون خراف ولدا حديثاً؛

بالإضافة إلى أن اللون الأخضر يكسو ذلك الشيء الذي لا يتعدى طوله ثلاثة أشبار، ولكنه مغمض العينين.
تساءل محمود عن السبب حيث لا يعرف الإجابة، ولكن كل ما كان يعرف ومتأكد منه هو أنه سيرى ما لم يرَه من قبل، فقط كل ما عليه هو أن يهدأ قليلاً حيث لا بد مما لا بد منه.

انتهت القصاصات جميعاً، وفوق كل واحدة منها يتكون نفس الشكل الذي تكون فوق القصاصة الأولى مع اختلاف بسيط في الملامح والحجم ولكن جميعهم متشابهون في الهيئة واللون وغلق الأعين وعند انتهاء النار من القصاصة الأخيرة فتحت جميع تلك الأشكال أعينها، وقالت بصوت واحد :

" نحن هنا .. ماذا تريد ؟ "

كانت تلك الجملة والنظرة التي رآها محمود في أعينهم كفيلة بأن تجعله يخر صعقاً.

أفاق محمود من غيبوبته وشعر بدوار يجتاح رأسه بعد هول ما رأى، وبجواره رأى الشيخ عبد المتجلي جالساً:

ماذا حدث ؟.

التفت اليه الشيخ فهو ينتظر تلك الإفاقة من مدة ليست بالقليلة ليقصَّ عليه ما جرى والمعضلة التي سيواجهانها سوياً وقال:

- حمداً لله على سلامتك ، لم أعلم أنك تمتلك قلباً ضعيفاً لهذه الدرجة .

- وهل أخبرك أحد من قبل أني أجالس الأشباح وألهو مع أولادهم ؟

تبسم الشيخ عبد المتجلي ضاحكاً رغماً عنه بعد جملة محمود وقال:

- لا، لم يخبرني أحد من قبل، دعْكَ من كل هذا وأعرني انتباهك لبعض الوقت، بعدما أتوا أتباعي وطلبت منهم أن يتخلصوا من حارس المقبرة لكي ندخل سالمين متجنبين شره غابوا عني بعض الوقت، وعادوا مرة أخرى؛ ليخبروني بشيء عجيب وهو أن حارس المقبرة من النوع الأوزيري مما يعني بأن المقبرة ملكية وليست لمجرد شخص عادي.

بدا على محمود علامات البلاهة والحمق فقال:

- وما المشكلة في ذلك؟، هل من يلازمونك لا يمكنهم التغلب على هذا الحارس ؟.

- بالطبع، لا، ولو اجتمعت عشيرة كاملة فلن تستطيع مجاراته حتى.
- وهل معنى ذلك أنك لا تستطيع فتح المقبرة وأني لن ألتحق للعب في أحد أندية كرة القدم ؟.

كان الحزن واضحاً على وجه محمود أثناء حديثه بعد شعوره بالأمل يختفي أمام ناظريه، بدا على الشيخ عبد المتجلي علامات التفكير وهو يحاول أن يجد مخرجاً لتلك الأزمة وقال:

- لا أدري، ولكن هناك طريقة مخصصة حول فتح المقبرة الملكية والتغلب على حارسها الأوزيري كان قد أخبرني بها معلمي الشيخ حجاب - رحمه الله -، ولكنها محاولة جديدة بالنسبة لي ولم أقم بها من قبل بالإضافة لكونها خطيرة بعض الشيء، فجميع المقابر التي فتحتها إما كانت لعامة المصريين القدماء وتلك أفعلها بسهولة، وتكون المهمة أصعب عندما أواجه مقبرة لوزير ما أو أحد الكهنة، ولكن مقبرة ملكية لا لم أفعلها في حياتي ولم أدخلها حتى.

- وما هي تلك الطريقة التي أخبرك بها شيخك ، قالها محمود متسائلاً.

- باختصار شديد كي لا أطيل عليك ، عند المصريين القدماء يقوم الفرعون برحلة يومية مدتها اثنتا عشرة ساعة وهي توازي الرحلة التي تقوم بها الشمس كل ليلة من غروبها حتى شروقها، ويعتقد المصريون أن الملك لو لم يقم بتلك الرحلة أو فشل في تنفيذها فسينتهي العالم.

- وكيف يستيقظ الفرعون بعد موته ؟.

- روحه تظل تبحث عن جسده حتى تجده، وإن هلك الجسد تبحث عنه في رسوم المقبرة، وإن هشمت تلك الرسوم تبحث عن اسمه، وإن كُشط اسمه فلن تهتدي لصاحبها وبالتالي سيحرم من الخلود في العالم الآخر، وتلك أقسى درجات الحرمان، ثم أردف قائلاً ويقوم الملك بتلك الرحلة اليومية من الساعة السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً، والطريقة هي أن تقوم روح أخرى غير روح الملك بدخول جسده وتقوم معه بتلك الرحلة، وقبل انتهائها تخبر الطاقم الذي يرافقه بأن الملك لا يحتاج حارساً لمقبرته، وبالتالي يمكننا دخولها بسهولة.

- وكيف تدخل تلك الروح للمقبرة والحارس موجود، بالتأكيد سيفتك بها بمجرد دخولها؛ لأنه قوي كما أخبرتني.
- حارس المقبرة بإمكانه الفتك بأقوى مردة الجان قوة وبطشاً، ولكن لا يمكنه خدش روح طفل صغير؛ لأن قديماً لم يعتقد أحد أن هناك مَن يستطيع التحكم في روح بشرية، ولكن هناك مَن يتحكم بالجان والعفاريت لذلك كانت أوامرهم لحراس المقابر أن يحرسوها ضد الجان والعفاريت واللصوص من البشر، ولم يأتِ ذكر الأرواح البشرية .
- وهل قام أحدهم بتلك الطريقة من قبل ؟.
- بالفعل، هناك العديد ممن قاموا بها فكما أخبرني شيخي أن في القرون الماضية كان السحرة يقومون بها لسرقة مقابر الملوك وأقوى هؤلاء السحرة هم سحرة مصر القديمة نفسها؛ فبعد موت الفرعون ودفنه كانت تتم سرقة مقبرته وانتشرت تلك السرقات بشكل ملحوظ وخاصة في عصور الظلام والعصور الانتقالية، حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة واهتدى ملوكها إلى فكرة تجعلهم يحافظون على مقابرهم ضد النهب والسرقة، وهي أن يجعلوها نائية في الصحراء أو ينحتوها في جبل صخري مرتفع، وفي بعض الأحيان عندما ينتهي المهندس من بناء المقبرة يتم قتله عن طريق الفرعون ويرجع ذلك لسببين: الأول هو كي لا يقوم ذلك المهندس ببناء مقبرة مشابهة لمقبرة الفرعون عندما يعجبه ذوقه وعبقريته الهندسية، والسبب الثاني والذي أرجحه كثيراً هو جعل مكان المقبرة مجهولاً؛ كي لا تتم سرقته من بعد وفاته .

كان الحديث يجذب محمود كثيراً؛ فلم يتوانَ في طرح السؤال تلو السؤال، والشيخ يجيب، وعندما أفرغ محمود كل ما في جعبته من أسئلة حول قدماء المصريين ابتسم للشيخ قائلاً:

- تجيب على أسئلتي، وكأنك دكتور يحاضر طلابه.
- لكي تنجح يا محمود في مهنة ما يجب عليك أن تفهمها وتدرسها بكل حذافيرها لتبرع فيها عن غيرك.
- بالطبع، ولكن هل ستقوم بتلك الخطة التي أخبرتني إياها أم ماذا ستفعل ؟.
- في الحقيقة لا أدري، فتلك هي المرة الأولي التي أواجه مثل هذه المعضلة.

بدأ حلم محمود في الشهرة والنجومية يتلاشى رويداً رويداً، وعلامات الإحباط تسيطر عليه ثم قال مسرعاً وكأنه اهتدى لفكرة ما:

- يمكنك استخدام روحي في تلك المهمة .

نظر الشيخ لمحمود في عدم تصديق فهو حديث السن ولا يعرف خطورة ما يقوله بالإضافة أنه لم يقوَ على رؤية بعض الجان، وخر مغشياً عليه فماذا سيفعل إن ذهب لرحلة للعالم السفلي؟، بالتأكيد ستتوج المهمة بالفشل الذريع، وربما لا ترجع روحه لجسده، وستُحرم روحه هو أيضاً من جسده فوالد محمود ينتظر بالخارج وتوعده بالهلاك إن أصاب ابنه مكروه .

- ولكنها مهمة صعبه يا محمود، وإن أصابك مكروه، لن أفلت من والدك وعمك.

بنبرة الواثق المتحدي قال محمود :

- اعتمد عليَّ، ولا تقلقْ، يمكننا فعلها سوياً؛ فلكل منا هدف يسعى لتحقيقه، أنا أسعى للشهرة والنجومية في عالم كرة القدم، وأنت لدخول تلك المقبرة لأول مرة في حياتك والأموال الطائلة التي ستجنيها.

كان ذلك عرض مغرٍ قدمه محمود على طبق من ذهب للشيخ

عبد المتجلي، بالتأكيد هذه المهمة تحتاج للتضحية سواء برأس محمود أو برأسيهما معاً؛ فالمقبرة العادية تجعل أصحابها يمتلكون الملايين، فكيف بالمقبرة الملكية؟، بالتأكيد محتوياتها لا تقدر بثمن .

بعد فترة من التمعن والتفكير والتحليل الدقيق لمجريات الأمور قرر الشيخ عبد المتجلي أن يخوض التجربة وليحدث ما يحدث؛ فتلك فرصة لن تتعوض مرة أخرى بالنسبة له:

- حسنا سأقوم بالتجهيزات، ولكن عليك أن تعلم أن نسبة الخطأ في تلك المهمة يجب ألا تتعدى الصفر بالمئة.
- بالتأكيد أعلم ذلك، لا تقلق.

أخذ الشيخ عبد المتجلي يقص على محمود تفاصيل ما سيقابله في رحلته وأن يقوم بدخول جسد الفرعون قبل أن تدخله روحه الحقيقية وماذا سيحدث مع الملك والوحوش التي يقابلها والعقبات التي ستواجهه ويطمئنه بأن الملك يقوم بتلك الرحلة يومياً وينجح باستمرار وأن يظل هادئاً مهما رأى كي لا يضطرب أمام طاقم الملك، فيشعرون بوجود شيء ما، كان محمود يسمع كل هذا ويستخدم عقله كآلة تسجيل كي لا ينسى شيئاً، وحين انتهى الشيخ من الحديث طلب من محمود أن يستلقي علي ظهره ويسترخي تماماً، وألا يقاوم أي شيء سيحدث بداخله فكل ما عليه هو أن يستسلم تماماً.

عندما تستيقظ لتجد نفسك قد أصبحت في وزن ريشة عصفور صغير، أو وزنك غير مضاف للجاذبية الأرضية، عندما تتحرر من كل شيء في جسدك وتصبح مجرد ضوء أو

ومضة يمكنها الانتقال لأي مكان في الحجرة بدون أن تطأ قدماها الأرض، عندما تصبح كالطائر الذي يطير بدون أجنحة ، كان ذلك هو شعور محمود حينما أفاق ووجد نفسه داخل حجرة يعلم سابقاً أنها مقبرة أحد ملوك مصر، أخذ يتنقل داخل المقبرة بدون أي قيود ويملأ من جمالها عينيه.

هناك العديد من الرسومات على جميع جدران المقبرة وجميع معالمها واضحة بعكس نقوش ورسومات المقابر الحالية ويرجع ذلك لكون المقبرة لم تكتشف بعد ولم يتلفها بخار الماء المصاحب لثاني أكسيد الكربون الناتج عن الزيارات المتعددة لها، وكأنها بنيت منذ عدة أيام وليس من عشرات القرون بالإضافة لكمية الذهب الموجودة والتي جعلت اللون السائد للمقبرة هو اللون الأصفر.

رأى محمود في إحدى أركان المقبرة سريراً وكرسياً من الذهب الخالص، بالإضافة إلى تابوت فخم توجد بداخله المومياء الملكية مزين بالرسومات والكتابات الهيروغليفية، والعديد من الكؤوس والأواني ومستلزمات أخرى كلها مصنوعة من الذهب أيضاً، وهذا ليس عجيباً عند المصريين القدماء فقد كان ملوك البلاد المحيطة يرسلون إليهم في طلب بعض الذهب والذي يوجد في مصر مثل التراب وذلك مقابل ما يحتاجه المصريون من مواد وبضائع أخرى.

كان الشيخ عبد المتجلي قد أخبره أنه عندما تهبط روحه إلى المقبرة سيكون لديه نصف ساعة قبل أن يدخل في مومياء الفرعون القابعة في التابوت، وأنه قبل الساعة السادسة ببضع ثوان يجب أن يلتحم بالمومياء قبل أن تأتي روح الفرعون الحقيقية وعندما أخبره محمود بأنه لن يستطيع معرفة الوقت المناسب لدخوله المومياء

طمأنه الشيخ بأنه سيرسل أحد أتباعه؛ ليخوض معركة مع حارس المقبرة نتيجتها معروفة، وعندما يسمع محمود زمجرة وأصواتاً عالية يعلم حينها أنه الوقت المناسب للبدء .

وبالفعل بينما كان يتجول داخل المقبرة مذهولاً بالرسومات والذهب وخفة وزنه إذ سمع صوت غريب وكأن هناك حيوانين أسطوريين يتقاتلان، ثم ما لبث هذا الصوت أن ارتفع أكثر فأكثر حتى أصبحت معركة دامية، علم حينها أن تلك اللحظة المناسبة للتنفيذ وبسرعة الريح أسرع لدخول التابوت ثم اختفى.

بطريقة آلية اعتدل الفرعون من نومته جالساً في منظر مروع كالذي يفعله أحد المصارعين المشاهير ولكنه يفوقه رعباً؛ لأن ذلك المصارع لم يمت بالطبع ويقوم من موته بل كل ما في الموضوع أنه بعد تلقي مجموعة ضربات لا بأس بها، ويظن منافسه والجمهور أن لا يقوى على النهوض مرة أخرى فيقوم بنفس طريقة هذه المومياء مما يثير الخوف والرعب في منافسه، فكيف بمومياء تعتدل جالسة بعد عشرات القرون من السكون؟.

بالتأكيد، من يرَها سينتهي أجله ويرقد في التابوت التي خرج منه للتوِّ .

كان محمود هو المتحكم في مومياء الفرعون هذه، وبعد دخوله لها أضيفت لذاكرته لغة جديدة كان لا يعرفها، والآن أصبح بإمكانه نطقها ومعرفة معاني كلماتها بالإضافة إلى سجل كامل عن حياة الفرعون ، كيف نشأ ومدة حكمه وعدد أبنائه وزوجاته والحروب التي خاضها؟، كل هذا أصبح في ذاكرة محمود، ويمكنه التنقل بين تلك الأشياء والبحث عن شيء ما في الذاكرة بسهولة ويسر، لكن مهلاً لا يوجد حوله خدم أو حراس، كيف هذا وهو الذي كان يعتقد أنه عندما يموت ملك من ملوك مصر القديمة كانوا يقتلون زوجته

وخدمه وحراسه ليخدموه في العالم الآخر؟، تباً لهذا الهراء وتلك الأساطير والخرافات التي سمعها في طفولته وأصبح يؤمن بها، قالها في نفسه .

خرج محمود أو الملك من التابوت، ودقق النظر حوله فوجد عدداً كبيراً من التماثيل الصغيرة، مجرد إن رآها عرف أنها " شابتي " وتعني الشخص الذي يجيب وبلغة هيروغليفية يعرف معناها وجد نفسه يقول:

" لقد بدأت رحلتي إلى الأبدية ، هبُّوا لتنالوا شرف خدمتي ومرافقتي "

وفجأة تحولت هذه " الشابتي " إلى عدد لا بأس به من الرجال، الواحد منهم يرتدي نقبة قصيرة وهي عبارة عن قطعة قماش ملفوفة حول الخصر عدة مرات وفوق رأسه قماشة مخططة بخطوط عريضة تتدلى إلى منكبيه، وجميعهم قالوا في صوت واحد جلجل أركان المقبرة

" سنطهو وننظف ونحمي ونرافق الملك في رحلته وهذا شرف عظيم لنا "

شعر محمود بنشوة السلطة والملك قد تمركزت داخله بعد هذا المشهد، وكأنه ملك حقيقي بعدما شاهد كل أولئك الخدم الذين سيضحون بأي شيء من أجله ومن أجل حمايته، ويعتبرون هذا شرفاً لا يناله إلا قلة قليلة من شعبهم.

تحرك وسط هذا الجمع ووجد نفسه يقف أمام حائط عليه بعض الرسومات والكتابات وعندما بحث في ذاكرة الملك عرف أن هذا هو دليله في رحلته ويدعى كتاب البوابات أو كتاب الموتى وهو عبارة عن رسومات إحداها لسفينة ما يتوسطها الفرعون بالإضافة إلى أفاعٍ وبوابات وسط المياه وتعاويذ وكلمات وجد نفسه يقوم

بحفظها ، كل هذا " والشابتي " يقفون خلفه في خضوع ينتظرون أوامره .

انتهى محمود من حفظ التعاويذ التي ستساعده وخريطة رحلته ثم استدار قائلاً :

هيا .
أفسح الحراس الطريق للملك كي يصبح في المقدمة وكل واحد منهم يحني رأسه احتراماً واجلالاً لهيبته.
خرج محمود من المقبرة بعدما تهيَّأ نفسياً وذهنياً وأصبح يجد لذة ومتعة غريبة في خوض تلك التجربة .

في بداية الطريق وجد العديد من الأرواح المنزعجة خارج مقبرته وعندما بحث في ذاكرة الفرعون عرف أنها أرواح هائمة قد تلفت مومياواتها، وكُشطت رسوماتها وأسماؤها من على جدران مقابرها؛ لذلك لن تنعم بالحياة الأبدية وهذا يعتبر أقسى عقاب يناله المصري القديم.

أخذ الموكب في التقدم مبتعداً عن المقبرة حتى وصل إلى ميناء صغير ترسو عليه سفينة قد شاهدها محمود من قبل في رسومات جدران المقبرة، دل شكلها الخارجي على عبقرية هندسية وأيدٍ ماهرة قامت بصناعتها ، كانت هذه هي السفينة المقدسة التي سيستخدمها الفرعون أثناء رحلته .

كانت كل تلك المناظر والأشياء التي مر بها قد أخبره الشيخ عبد المتجلي بها من قبل، ولم يعلم محمود لماذا فعل الشيخ ذلك؟، فمجرد دخول روح محمود لجسد الفرعون أصبح يمتلك ذاكرته، ولكنه رجح أن الغرض من هذا كله أن الشيخ كان يطمئنه لكي؛ يتشجع ويخوض المغامرة ولا يرجع في قراره .

صعد على متن السفينة وخلفه موكبه وبعدما صعد الجميع وجد الموكب ينقسم لمجموعات فمجموعة منهم ذهب للتجديف، وأخرى لإنزال الأشرعة والباقي ذهب لمهمات مختلفة .

اتضح على الجميع علامات الاستعداد التام منتظرين إشارة الفرعون بالانطلاق، وتحدث محمود مخاطباً المجموعة المسؤولة عن الأشرعة وأمرهم بإنزالها والتأكد منها ثم وجه أوامره لمجموعة التجديف وأمرهم بالبدء في التجديف ثم توجه للكرسي المخصص له والمتواجد في منتصف السفينة والجميع يقوم بمهامه المكلف بها .

بعد جلوسه بفترة قصيرة أخذ يراجع خط سير رحلته التي أصبح يحفظها ، الاثنتا عشرة بوابة بعدد الاثنتى عشرة ساعة من السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً من غروب الشمس حتى شروقها من جديد .

أي أن المسافة الزمنية من بوابة لأخرى مقدارها ساعة فقط عليه ألا يتأخر وإلا فسيفشل وتذكر التعاويذ والرسومات التي بمجرد

إن شاهدها عرف أنه يحفظها من قبل ولكن يبدو أنه روتين يومي يقوم به الملك كل يوم قبل بداية رحلته .

جاء أحد الشابتي وتقدم مطأطئ الرأس نحو محمود ثم اقترب منه هامساً:

- البوابة الأولى قد ظهرت من بعيد يا سيدي .

هز محمود رأسه دلالة على تفهمه ثم بشكل تلقائي وجد نفسه يقف ويتجه إلى مقدمة السفينة وعندما وصل اليها رأى من بعيد أن نهر النيل يضيق عند نقطة ما، دقق النظر فرأى بوابة ضخمة في وسط الماء ولكي يعبر للجهة الأخرى عليه المرور من خلالها أولاً.
كانت من بعيد مجرد بوابة عادية ليس بها شيء مثير للريبة أو الخوف ولكن مع اقترابه منها هربت الدماء من وجهه وذاب اعتقاده أنها مجرد بوابة فقد كانت مخيفة بحق، بوابة ضخمة تلتف بها الثعابين من كل جانب، وكل حين وآخر تسقط في الماء مجموعة من الثعابين، وكأنها تمنع السمك من المرور بل ولو كانت قادرة على منع الماء لمنعته من المرور أيضاً.
عدد هائل من ثعابين الكوبرا تصدر فحيحاً يلتهم سكون الليل ويحطم صمته المقدس، وعند اقتراب السفينة من البوابة بدأ صوت الثعابين في الارتفاع شيئاً فشيئاً ورفعت رؤوسها وكأنها تستعد للهجوم ، توقفت السفينة قبل البوابة بعدة أمتار كان حينها صوت الثعابين قد بلغ ذروته وانتظر الجميع من الملك أن يلقي تعويذة البوابة الأولى؛ ليحميهم من شر حراسها .

ذلك المشهد جعل محمود يتصبب عرقاً ولحسن حظه أنه كان في مقدمة السفينة والجميع يقف خلفه فلو شاهدوا تعابير وجهه لعرفوا أن ملكهم جبان ولا يستحق الحياة الأبدية التي

هو في طريقه إليها، ارتعشت مفاصل محمود وأخذ يتذكر سريعاً، ويبحث في ذاكرة الفرعون عن تعويذة البوابة الأولى ولكن لم يجدها، زاد العرق عن ذي قبل وأصبح من يدقق في جسده يرَى رعشه خفيفة قد اجتاحته وأخذ يحادث نفسه :

ما بك يا محمود؟، هل ستنتهي رحلتك قبل بدايتها ؟.
هل سيصبح حلمك مجرد هباءٍ منثورٍ؟
ماذا عن وعودك التي وعدتها لوالدك والشيخ عبد المتجلي ؟
هل أنت جبان إلى هذه الدرجة ؟

أقنع نفسه أخيراً أن أفضل وسيلة للتذكر هي أن يهدأ ويسترخي قليلاً ويحاول السيطرة على نبضات قلبه التي تسارعت وركز قليلاً وبحث بهدوء حتى تذكر التعويذة فأسرع يقولها كتلميذ حفظ الدرس وها هو يسمِّعه أمام معلمه .

بعد أن فرغ من نطق التعويذة سكت صوت الأفاعي بعدما علمت أنه أحد ملوك مصر صاحب الدم النقي ، وبشكل آليٍّ أيضاً نظر محمود للأفاعي نظرة تحدٍّ وأصدر فحيحاً عالياً جعل جميعها تطأطئ رأسها وتنتهي من حالة الاستعداد التي كانت عليه منذ قليل، ثم نظر لمجموعة التجديف وأمرهم بالاستمرار وعبرت السفينة أول بوابة وأول خطر حقيقي يواجهها .

رجع محمود مرة أخرى وجلس على عرشه؛ ليريح أعصابه التي تلف معظمها نتيجة تسرعه بعد هول ذلك الموقف وحمد

الله أنه هدأ في الوقت المناسب وعزم في المرة المقبلة ألا يتسرع ويجمع شتات أمره كي لا يحدث ما حدث وتذكر التعويذة التي أصمتَ بها تلك الأفاعي والتي كانت منقوشة في أول شكل من أشكال البوابات المحفورة بداخل مقبرته ثم أخذ يرددها في سره وهو يعلم تماماً أنه لن يحتاجها في رحلته مرة أخرى ولكنه ظل يرددها .

***

طفل صغير يطلب من المارة إعطاءه أي شيء ليأكله فمنذ يومين لم يدخل الطعام جوفه، وبالصدفة كان مشرف عمال دير المدينة يتجول في السوق لشراء بعض الأغراض ووجد هذا الصغير فقرر ان يتبناه ليعوضه عن حرمانه من نعمة الطفل بعدما توفت زوجته وقرر اخلاصا لها بألا يتزوج من إمرأة ثانية .
اقترب منه وأعطاه بعض النقود واشترى له الطعام ثم أخذه ورجع به الى المنزل .
" أوني " كان هذا هو الاسم الذي سمي به الصغير، كبر أوني في كنف والده الذي كان يصطحبه معه يومياً للعمل حتى اعتاد عليه وأصبح يقوم بعمل والده أو يساعده في بعض الأحيان إن احتاج الأمر.

بمرور الوقت هرم والد أوني وعانى المرض في أيامه الأخيرة مما جعل أوني يقوم بمهمة والده والتي قد اعتاد عليها منذ الصغر وأصبح بارعاً في أدائها ، كان يسجل الأعمال المطلوب تنفيذها والأعمال التي تم الانتهاء منها

والأدوات التي تلفت فيرسل للصناع يطلب منهم أخرى غيرها ثم يرسلها للعمال .

لاحظ كبير عمال دير المدينة نشاط أوني وثناء العمال والمشرفين عليه فقام بتعيينه كمشرف بصفة رسمية بدلاً من والده المريض .

كان أوني يأخذ أجراً لا بأس به يكفيه هو ووالده المريض ويبقى بعض الشيء، فهو يعمل في مهنة يحسده عليها الكثير من العمال لعمله كمجرد مشرف لا يكدُّ مثلهم، وأيضاً راتبه أعلى منهم بالرغم من حداثة سنه .

كان منظر الأواني والمؤن والذهب الذي يمر من أمامه ليوضع في المقبرة يلتمع في عينيه ويستنكر دفنهم مع الميت، وبعد طول تفكير وتغلب الطمع عليه قرر أن تبيت تلك المؤن معه، وليس مع الموتى وفكر أن يقوم بنبش أحد القبور ويسرق محتوياته وخاصة أنه وبسبب طبيعة عمله يعرف جميع أماكن القبور وكيفية دخولها وتجنب الطرق والمكائد المعدة للصوص المقابر .

تمكن من أولى سرقاته وكانت مقبرة لكاتب ما وجنى منها مبلغاً ليس بالكبير، ولكنه سعد لإتمام المهمة بنجاح دون أي عواقب وفكر في تكرار الكره حينما يتسنى له ذلك .

كانت طبيعة عمله تجعله قادراً على تعيين عمال جدد فنجح في تكوين عصابة صغيرة يرأسها ويخطط لها وفي جنح الظلام ينبشون القبور وينتهكون حرماتها ويبيعون مقتنياتها في الأسواق البعيدة ، والأشياء التي كانوا يشعرون أن بيعها سيكشف هويتهم كانوا يقومون بتحويلها إلى عناصرها الأساسية ويتم بيعها في السوق العادية بدون خوف.

بمرور الوقت كان أوني قد اكتسب ثروة ليست مناسبة لشخص يعمل كمشرف لعمال دير المدينة ودارت الشبهات حوله حتى وصلت للملك نفسه وبناءً على ذلك أمر أحد مساعديه بأن يتولى بنفسه مهمة أوني وألا يتغيب عن ناظريه.

خطط أوني لسرقة مقبرة لإحدى ملوك مصر بعدما عرف مكانها، وكان قد ملّ من سرقة المقابر العادية التي لا تعتبر مقتنياتها تناسب المجهود الذي يقوم به هو وأفراد عصابته الصغيرة فقرر أن يقوم بسرقتها بمفرده كي لا يشاركه أحد في الثروة التي سيجنيها من تلك المقبرة .

اختار ليلة مناسبة لتنفيذ خطته وقام برشوة جميع حراس المقبرة وراح ينحت في جدارها مدخلاً صغيراً يستطيع الولوج من خلاله لقبر الفرعون .

انتهى من صنع الفجوة الصغيرة التي بالكاد تناسبه ودلف داخل المقبرة حاملاً شعلة نار تضيء له المكان وكيساً كتانياً؛ ليملأ فيه أواني المقبرة الثمينة ومقتنياتها، بمجرد دخوله راح يتجول بدخلها منبهراً بالحلى والتماثيل الذهبية الصغيرة متخيلاً الثروة التي سيمتلكها من الكتان الفاخر والزيوت النفسية بالإضافة إلى الذهب أيضاً.

انتهى من تعبئة نصف الكيس الكتاني وراح يستمر في أخذ المزيد حتى وجد قنينة ذهبية أعجبه تصميمها وشكلها وهم بأخذها فشعر بثقل وزنها مما يدل على أنها تحوي نبيذ الفاخر، قرب القنينة من فمه واستنشق رائحة نبيذها التي أسالت لعابه حيث لا توجد إلا في قصور الملوك وكبار رجال الدولة فقط ، أخرج من كيسه كوباً ذهبياً من ضمن المحتويات المسروقة وسكب لنفسه البعض من هذا

النبيذ ثم راح يرتشف منه في هدوء وتلذذ وسمح لنفسه بشرب النبيذ المقدم للآلهة كقرابين .

راقه الطعم فجلس على التابوت الذي يحوي مومياء الملك المقدسة وراح يسكب الكأس تلو الآخر وشرب حتى الثمالة ، وفي الوقت نفسه من خلال تلك الفجوة التي صنعها قبل قليل كان هناك الشخص المكلف بمراقبته وهو يتابع ما يفعله أوني داخل المقبرة وعندما سنحت له الفرصة المناسبة دلف إلى المقبرة وألقى القبض عليه متلبساً بجريمته .

ها هو أوني يُجَرُّ ذليلاً بواسطة اثنين من السجانين الأقوياء، ويُلقى به داخل زنزانة حتى يحين موعد محاكمته بتهمة السرقة والرشوة وتدنيس المقدسات ولو ثبتت عليه تلك الجرائم فسيعاقب أشد العقاب.

كانت الأيام القليلة التي تسبق محاكمته يقوم السجانون بضربه وتشويهه حتي يحصلوا منه على الاعترافات من جهة ويعاقبوه من جهة أخرى، باستخدام أجهزة التعذيب كالعصي والحبال وغيرها، اعترف أوني بشتى جرائمه بالإضافة لجريمته الأخيرة.

أخرجوه من زنزانته في أحد الأيام لكي يمثل أمام لجنة من القضاة وكان القضاء المصري حينها قاسياً حتى أمام الجرائم الصغيرة ممَّا جعله سبباً من أهم أسباب تقدم مصر وازدهارها في تلك الفترة .

كانت جريمة أوني عظيمة فقد سمح لنفسه بسرقة مقبرة الإله حيث كان في اعتقاد المصريين القدماء أن الملك هو الوسيط الوحيد بينهم وبين الإله، ومن أطاع الملك فقد طاع الإله ومن عصاه فقد عصى الإله، وعندما يموت هذا الملك يصبح إلهاً في العالم الآخر.

بعد الشهادة التي أدلى بها مراقب أوني والاعترافات التي قدمها

أوني بنفسه ثبتت عليه جميع التهم أمام لجنة القضاء ونطقت

حكمها بإعدام أوني بطريقة الخمس قطعات بالإضافة إلى حرمانه من الذهاب للعالم الآخر عن طريق كشط اسمه من أي جدار كتب عليه .

تم أخذ أوني إلى ساحة تنفيذ الأحكام لتطبق عليه عقوبة الإعدام،

اقتُلعت عيناه وقُطع أنفه ثم شفتاه، وأخيراً أذناه؛ ليتم حرمانه من جميع حواسه وسط صرخاته الهستيرية ثم أخيراً غُرس خنجر في منتصف قلبه فسكنت حركته إلى الأبد .

أمر الملك أن تنفذ تلك العقوبة على الملأ كي يكون أوني عبرة لغيره ممن ينبشون المقابر وينتهكون حرمتها وبالفعل بعد تلك

العقوبة التى رآها الجميع أصبحت سرقات المقابر تتلاشى

تدريجياً .

قاعة واسعة يحيط بها بهو من الأعمدة المزخرفة على شكل

حزمة نبات البردي يقف علي جانبيها صفان من الحراس

في حزم وثبات وفي آخرها يوجد الملك جالساً على عرشه وعلى

جانبيه توجد زوجته من جهة وابنه من جهة أخرى، ولكن في

مستوى منخفض نسبياً.

يفتح الباب ويدخل أحد رجال القصر مطأطئ الرأس في خشوع

ويمشي في هدوء وسكينة حتى مثل أمام الملك :

- الحكيم " بيرات " كبير الكهنة يطلب الإذن للدخول يا سيدي .

ثم نظر بطرف عينه؛ ليجد الملك يهز رأسه كعلامة السماح له بالدخول .

تراجع الخادم بنفس الطريقة التي جاء بها فمن غير المسموح أن يعطي الملك ظهره حتى اختفى وظهر من خلفه كبير الكهنة .

تقدم بيرات في وقار نحو الملك ممسكاً بيده اليمني علامة العنخ

وحيا الملك بانحناءة صغيرة وقال :

- بلغني يا محبوب أمون وسيد طيبة أنك تود مقابلتي .

تخلص الملك من صمته وتحدث بوجه غاضب سائلاً :

- هل سمعت عن الحادثة الأخيرة للص المقابر أوني أيها الحكيم ؟
- نعم يا سيدي، الكل سمع بها ونال هذا اللص ما يستحقه .
- وهل تعلم أنه لولا مشيئة الآلهة لفرَّ هذا اللص بفعلته هذه واستولى على مقتنيات مقبرة والدي ؟

صمت الحكيم ولم يجد ما يقوله وليعطي الملك ليفرغ ما في جعبته من الغضب؛ فلو تحدث لزاده غضبه غضباً؛ لذلك فضل السكوت.

استطرد الملك في الحديث :

- في الفترة الأخيرة تمت العديد من السرقات لبعض الوزراء وكبار رجال الدولة بل وصلت إلى محاولة سرقة مقبرة الإله نفسه، وأنتم مكتوفو الأيدي.

- نحن نبذل كل ما في وسعنا يا سيدي للحد من تلك
- السرقات .
- ومع ذلك تتم سرقة المقابر والقليل منها فقط مَن يتم القبض على سارقيها، ويفر الكثير منهم حتى تجرأ أحدهم على سرقة مقابر الملوك .

- ولكن يا سيدي ...
قاطعه الملك صائحاً:

- إلى متى ستظلون أيها الكسالى لا تقومون بواجباتكم ؟.
إلى متى ستتركون المقابر هكذا بدون رقابة ؟.
- نحن نضع التمائم السحرية يا سيدي؛ لتحمي المقابر وتصب اللعنة علي سارقيها .

- هذا هراء ، تمائمكم هذه أصبحت لا تجدي نفعاً وانشغلتم بملء بطونكم وجيوبكم من القرابين التي تقدم للآلهة حتى أصبحت بطونكم مثل بطون فراس النهر، وأصبحت عقولكم مثل بطونكم وماتت الفكرة لديكم وأصبحتم عديمي النفع .
- أخشى أنك مخطئ يا سيدي بوصفنا بهذا الكسل واللامبالاة؛ فمنذ عدة أيام قمت بجمع كهنة طيبة؛ لنضع حداً لتلك السرقات

وبعد الكثير من التفكير اهتدينا لاستخدام بعض قبائل الجان؛ لتتولى مهمة حماية المقابر .

بدَتْ على الملك علامات الدهشة والتعجب من كلمات بيرات الأخيرة وقال :

- وهل يمكنكم فعل ذلك حقاً ؟.

علم بيرات أنه أصاب وتراً حساساً في نفس الملك وأن دفة الحوار أصبح هو المتحكم فيها الآن فتابع:

- بالتأكيد يا سيدي؛ فقد تمكنا من إبرام عدة اتفاقيات مع رؤساء تلك القبائل مقابل كمية لا بأس بها من الذهب ، فالجان مُولَع بالذهب، ويمكن أن يصبح خادمكَ الأمين إن أعطيته القليل منه .

توقف بيرات عن الحديث لبرهة؛ ليثير فضول الملك ثم تابع :

- هذه القبائل يا سيدي متباينة في القوة، فهناك القوي منها وهناك الضعيف، وقد قمنا بترتيب هذه القبائل لحماية المقابر حسب الترتيب الاجتماعي في دولتنا، فمثلاً المزارعون لهم قبيلة والصناع والحرفيون لهم قبيلة أيضاً وهكذا يا سيدي .

- وكيف ستتواصلون مع أفراد تلك القبائل وجلبهم لحراسة مقبرة بعينها ؟

قالها الملك متسائلاً .

أجاب بيرات في خضوع :

- بعد وضع جثمان الميت في التابوت وقرب الانتهاء من طقوس الدفن سنقوم بوضع كمية الذهب المتفق عليها

مع كل عشيرة ، وأعطونا كلمات سحرية نقوم بترتيلها على هذا الذهب فيأتي فرد من تلك القبيلة ويتولى مهمة حراسة المقبرة ضد أيّ لصٍّ ، وبالتأكيد كمية الذهب تتناسب طردياً مع قوة العشيرة، فالذهب المخصص لعشيرة ما الموجود في مقبرة وزير يفوق كمية الذهب المخصصة لعشيرة أخرى الموجود في مقبرة تاجر أو مزارع .

أعجب الملك بتلك الطريقة التي اهتدى اليها الكهنة وراح يكمل طرح أسئلته:

- أحسنت عملاً يا بيرات ، حقاً لقد نلْتَ إعجابي، ولسوف أكافئك، ولكن ماذا عن المقابر الملكية ؟.

- تلك كانت المشكلة الكبرى التي واجهتنا يا سيدي فقد ظللنا نبحث عن أكثر القبائل قوة حتى اهتدينا لواحده تتميز بالشراسة والتمرد عن غيرها وبعد الكثير من المفاوضات مع قائدها تمكنا أخيراً من إبرام الاتفاق معهم وذلك بشرط أن يأخذ الواحد منهم مقداراً كبيراً من الذهب الموجود في المقبرة التي سيتولى حراستها .

توقف بيرات؛ ليستنتج وقع كلماته الأخيرة على الملك بينما لاذ الملك بالهدوء، ولم يعقب فأكمل بيرات :

- ولكني اعتبرها ليست بالمشكلة طالما سنضمن بقاء محتوياتها حتى يوم البعث .

أرسل الملك في طلب عامل خزانة القصر وأمره بمرفقته بيرات حتى الخزانة ويعطيه ....

- لقد اقتربنا من البوابة الثانية يا سيدي .

أفاق محمود من شروده وتلك الرحلة التي قام بها داخل ذاكرة الفرعون بعدما أراد أن يعرف ماهية ذلك الحارس الأوزيري الذي أخبره عنه الشيخ عبد الجليل من قبل وليته ما فعل، فطريقة إعدام أوني جعلته يحمد ربه كثير أنه لم يفعل ما يفعله الآن أثناء الدولة الفرعونية وإلا كان مصيره مثل مصير ذلك اللص.

قام من جلسته مثلما فعل في المرة السابقة وتوجه حتى مقدمة السفينة ورأى البوابة من بعيد لا تختلف عن سابقتها كثيراً غير أن الثعابين المحيطة بها أضخم وأكثر عدداً.

نطق محمود بالتعاويذ الخاصة بالبوابة الثانية بعدما استرخى قليلا حتى لا يحدث مثلما حدث في المرة الأولى وبعدما انتهى ونظر للثعابين وأخرج فحيحاً يفوق فحيحهم.
استكانت الثعابين وهدأت ومرت السفينة عبر البوابة الثانية ورجع محمود إلى عرشه.

بعد أن جلس بفترة قصيرة جاءه واحد من طاقم السفينة، علم محمود بمجرد رؤيته أنه كبير طباخي السفينة ، كان واضحاً على وجهه علامات كبر السن فوجهه قد اختفى تحت قناع من الأخاديد والتجاعيد، اقترب من محمود ناظراً تحت قدميه حتى أصبح بمواجهة عرشه ثم قال بصوت واهن:

- لقد أصبح الطعام جاهزاً يا سيدي .

قالها وانتظر رد الملك فأومأ محمود برأسه علامة التفهم .

وقف محمود وتوجه لإحدى غرف السفينة ليجد بداخلها مائدة طويلة مزينة بشتى أنواع اللحوم وسلة ضخمة في وسطها

تحوي العديد من الفاكهة بالإضافة إلى قنينة فاخرة تحوي النبيذ وساقٍ يقف بجوار الكرسي المخصص للملك ليقوم بخدمته .

سال لعاب محمود بعد رؤيته لتلك المائدة الملكية الضخمة وتقدم حتى جلس علي المقعد المخصص له وراح يملأ معدته من ذلك الطعام الذي أعجبه كثيراً، وتساءل: هل المصريون القدماء يملكون مهارة خاصة في الطبخ أم الجوع الذي يجعل أي طعام عاديٍّ يبدو شهياً للغاية ؟.

فرغ محمود من تناول الطعام وكان حينها قد تناول مقداراً ضخماً حيث تعجب من ذلك فهو في العادي لا يأكل ربع تلك الكمية، ولكنه ربما جسد ذلك الفرعون الملقى منذ مئات السنين يحتاج لتلك الكمية لتدب فيه القوة مرة أخرى ويستطيع مواصلة هذه الرحلة.

آشار إلى سلة الطعام الموضوعة في منتصف المائدة وعلى الفور ذهب الساقي ووضعها أمام محمود مباشرة والذي انتقى منها هذا الأخير أكبر ثمرة تفاح وراح يحطم أسوارها.

انتهى من قضم التفاحة ثم أمسك قطعة من الكتان موضوعة أمامه تستخدم كمنديل ومسح بها فمه، كانت تلك إشارة فهمها الساقي بأنه قد انتهى من طعامه فتقدم الساقي وسكب الماء في كوب ذهبي وأعطاه للملك .

غادر محمود الغرفة وقبل أن يصل إلى عرشه المعتاد على

الجلوس فيه شاهد الرجل المكلف بإخطاره عن قرب البوابات آتياً تجاهه فعلم محمود أن السفينة قد شارفت على الوصول إلى البوابة الثالثة فغير مساره واتجه إلى مقدمة السفينة .

من بعيد على امتداد نظر محمود كان هناك ضوء أصفر دنس ذلك الظلام المقدس الذي يلازم السفينة من بداية رحلتها ، حينها فكر محمود أن يستخدم ذاكرة الملك ويبحث فيها عن سبب لهذا الضوء الذي يشاهده ولكنه توقف في اللحظة الأخيرة واستنكر أن يفعل ذلك؛ لأنه وإن فعل فسيختفي عنصر المفاجأة الذي لازمه طوال رحلته وتفقد مغامرته لذتها فآثر عدم المحاولة لحين يجد ما يجري هناك .

قبل البوابة بعدة أمتار وقفت السفينة كالعادة ليلقي الملك التعويذة الخاصة بتلك البوابة ، لكن الملك كان منشغلاً بأمر آخر، والواضح أنه هو فقط مَن أصابه الذهول ، فبعد تلك البوابة لا توجد مياه عادية كغيرها من البوابات وإنما توجد بحيرة تسبح في النار أو نار تسبح في البحيرة كلاهما صحيح، بالإضافة لأصوات صراخ عالية تطلب الإغاثة وكأنها تعذب في الجحيم .

تعجب محمود وأطرق لبرهة يفكر فيما بعد نطقه للتعويذة وتعبر السفينة تلك البوابة ، كيف سينجو هو وطاقمه ؟.

هل هناك مفاجأة ما ستحدث، ويأتي تنين ضخم كالذي يشاهده في

الأفلام ثم يحمل السفينة بين مخالبة ويحلق بها من فوق تلك النار أم ماذا سيحدث ؟.

راودته نفسه أن يلقي نظرة على ذاكرة الفرعون متحججة أن تهدأ من روعها، فرفض بشدة فمهما سيحدث ومهما سيشاهد فلن يجعل رحلته تفقد عناصر المغامرة والدهشة فتلك الرحلة لن يكررها مرة أخرى .

نطق بالتعويذة أخيراً وأطلق فحيحه كما يفعل فهدأت الثعابين وبدأت السفينة في المضي قدماً ، عبر نصف السفينة الأمامي الذي يعتليه محمود البوابة، فالتفت إلى السماء ليشاهد التنين أو أي وحش أسطوري ليحمي السفينة من تلك النيران ولكن لم يحدث شيء، ثم عبرت السفينة بأكملها بوابة الجحيم

كما أطلق عليها محمود في نفسه ، انتظر أن تحترق السفينة أو أن يشتم رائحة الدخان المتصاعد من احتراق الخشب ولكن لم يحدث شيء أيضاً.

ما لا يعلمه محمود أو ما لا يريد محمود أن يعرفه أن هذه النار لا تأكل مَن به دم نقي، وطالما وصل محمود إلى هذه المرحلة فهو بالتأكيد تجري في عروقه الدماء الملكية وعلى النار ألا تمسه بسوء سواء هو أو باقي أفراد طاقمه.

بعد التوغل قليلاً في تلك البحيرة العجيبة بدأت الأصوات في

الارتفاع أكثر فأكثر، أمام ناظريه كانت الأجساد المترامية على طول النيل تلتهمها النار شيئاً فشيئاً، ورائحة الشواء تملأ المكان ، المنظر مريع حقاً، أناس يسحبون في تلك البحيرة وبمرور الوقت تأكل النار أجزاءهم، حتى إذا مات أحدهم غطس في القاع ليكون وجبة شهية ربما تنتظرها الأسماك والحيتان بالأسفل .

- هل هذه جهنم ؟.

تساءل محمود في نفسه ، ولكن جهنم التي يحكي عنها أثناء الخطب والبرامج التليفزيونية بها جسر من الأعلى أو كما يسمونه الصراط ، يمر عليه جميع البشر، من نجح في عبوره فقد فاز ومن سقط من أعلاه فالنار تنتظره في الأسفل ، إذن هذه ليست جهنم ، وبينما هو يفكر أتاه هاجس بأنه ربما هذه النار ماهي إلا مرحلة من مراحل العذاب التي أعدت للملعونين في الدنيا والذين كفروا بآمون و رَع وباقي الآلهة المصرية أو الذين آمنوا بوجود الآلهة ثم عصوهم ولم يتبعوا تعاليمهم .

أصبحت السفينة في وسط البحيرة تماماً، إذن فقد اجتازت نصف المسافة وأمامها النصف الآخر وبالتفكير في تلك البحيرة شعر محمود أنها جزء منه أو أنه ينتمي إليها وأحس بقوة عجيبة تسري داخله وتخبره بأنه يستطيع التحكم في هذه النار، وتساءل: هل بإمكانه ذلك كما تخبره حواسه أم هي مجرد ظنون ؟.

قرر أن يجرب تلك القوى فنظر لأحد الملعونين وهو يسبح في شتى الاتجاهات محاولاً إيجاد طريقة للنجاة حينها أراد محمود في قرارة نفسه أن يغرق هذا الشخص قبل أن تنتهي النار من التهامه، وبالفعل بمجرد أن أراد محمود ذلك حتى غطس ذلك الملعون ولم يظهر مرة أخرى.

- ما هذه القوة ؟

صرخ بها محمود في داخله وجرب مرة ثانية وثالثة وفي

كل مرة يختفي الشخص الذي ينظر إليه محمود ثم فكر أن يعكس القرار وأن يجرب إنقاذ أحدهم ، راح ينظر للأجساد المحيطة بالسفينة حتى استقر نظره على أحدهم وقرر إنقاذه.

لا يدري محمود لماذا اختار هذا الغريق بالذات؟، ولكن لم يفكر في الأمر كثيراً فكل ما يشغل تفكيره هو كيف سيتم إنقاذ ذلك الملعون؟، ركز نظره عليه ثم أراد في نفسه أن يتم إنقاذ هذا الملعون وبمجرد أن اكتملت إرادته اختفت النار المشتعلة في البقعة المحيطة بذلك الغريق، وكلما أراد السباحة إلى مكان معين اختفت النار من أمامه وظل يبحث حوله كالمجنون

ليجد أي شيء يتعلق به حتى رأى السفينة بالقرب منه، وكأنه

لم يلحظ وجودها من هول الموقف الذي كان به منذ قليل .

عندما همّ بتسلق السفينة هجم عليه بعض الحراس لمنعه فأشار

لهم محمود بأن يتركوه وهو لا يعلم أيضاً لماذا يفعل ذلك

وينقذ أحد الملعونين من الغرق ونيل عقابهم؟، بل وأيضا سمح لذلك الملعون بأن يتسلق سفينته المقدسة ويدنسها بخطاياه ولكن يبدو أن هذا الملعون يحمل سراً ما.

تسلق الملعون السفينة حتى وصل إلى سطحها وسط نظرات الجميع ، قوي البنية وبشرته تميل إلى الاسمرار، والحروق منتشرة في شتى أنحاء جسده ، أخذ يزحف حتى وصل إلى قدم محمود وبصوت مرتعد قال :

- لقـ لقد كو كو كنت أنـ أنتظر قدومك يا سيدي .

قال جملته الأخيرة ثم غاب عن الوعي.

أمر محمود أن يتم الاعتناء به وعندما يفيق يحضرونه؛ ليعرف قصته ، حمله رجلان ودخلا به إحدى الغرف، وتبعهما الطبيب الخاص بالملك، وكان حينها محمود قد عاد إلى عرشه بعد أن استحوذ هذا الغريب على تفكيره .

في منتصف الطريق تقريباً بين البوابة الثالثة والرابعة أتى مساعد الطبيب وأخبر محمود أن الغريق قد أفاق أخيراً فأمره بأن يحضره إليه، غاب مساعد الطبيب لبرهة ثم عاد ومعه الغريق .

كانت حالته يُرثى لها والعديد من الكتان والضمادات لُفَّت على جسده؛ ليبدو كمومياء قبل دفنها، ولا يستطيع الحركة فاستعمل مساعد الطبيب كعكاز له، وعندما أصبح الاثنان في حضرة

الملك ركع الغريق أسفل قدم محمود ولاذ بالصمت.

- عندما صعدت على سطح سفينتي وقبل أن تغيب عن الوعي أخبرتني بأنك كنت تنتظر قدومي ، ماذا تقصد بجملتك هذه ؟.

صمت الغريق وكأنه يرتب أفكاره؛ لأنه يعلم أن أول سؤال سيطرحه عليه الملك بالتأكيد سيكون عن جملته تلك.

أخذ نفَساً عميقاً وقال:

- سأخبرك .. سأخبرك بكل شيء يا سيدي .

أُدْعَى " زازا "، كان لديَّ أخ يصغرني سناً يدعى " تونيب " توفي والدانا عندما كان تونيب صغيراً فتوليت مهمة تربيته ورعايته وأنشأته نشأة صالحة وبعد فترة تزوجت وذلك لتساعدنا زوجتي في أمور المنزل إذ كنت أنا وتونيب دائماً ما نعمل في الحقل وكنا بحاجة لمَن يطهو لنا الطعام وينظف ثيابنا ويحلب أبقارنا .

وفي إحدى الأيام كنت أنا وأخي نقوم بزراعة الأرض ونفذت منا البذور فطلبت منه أن يذهب إلى المنزل ويجلب لنا البعض منها لنكمل الزراعة، عاد أخي إلى المنزل وطلب من زوجتي أن تذهب للصومعة وتحضر بعض البذور ولكنها تحججت بأنها تمشط شعرها وأخبرته أن يذهب بنفسه .

توجه أخي إلى الصومعة وحمل مقداراً كبيراً من الحبوب والغلال

وأنت تعلم يا سيدي أن أي رجل منا عندما يحمل شيئاً ثقيلاً تبرز عضلاته وينتصب جسده وفي بعض الأحيان تفتتن به بعض النساء وللأسف كانت زوجتي واحدة من إحداهن وقبل أن يخرج أخي من المنزل رأته زوجتي وراقها مظهره وافتتنت بجسده المفتول، فأسرعت إليه وتدللت وأرادت إغواءه ولكنه لم يقع في شباكها ونهرها لكونها بالنسبة له بمثابة الأم وأنا بمثابة الأب وأنها مقدسة بالنسبة له وحذرها من أن تفعل ذلك مرة أخرى وإلا فسيخبرني .

شعرت زوجتي بأن كبرياءها قد أهين بعد رفض أخي لها وأضمرت له الشر في نفسها وقررت أن تُوقع بيني وبينه .

أتاني أخي في الحقل محملاً بالبذور ولم يخبرني بشيء، ويا ليته أخبرني ورحنا نكمل الزراعة سوياً حتى انتهينا ، غابت الشمس فطلبت منه أن نرجع ونستكمل الزراعة غداً، فقد نال منا التعب في هذا اليوم ما نال.

طلب مني أن أسبقه للمنزل وهو سيجمع الأبقار والماشية من الحقل ويعود خلفي ، لقد كان أخي تونيب طيباً جداً كما ترى يا سيدي.

حينما عدت إلى المنزل كانت زوجتي قد تناولت مزيجاً من الزيت والدهن فوجدتها في حالة إعياء وقيء وملابسها ممزقة، وكأن حيواناً مفترساً هاجمها بمخالبة .

صعقني المشهد يا سيدي وأسرعت إليها متسائلاً: عمَّ ألمَّ بها؟، فأخبرتني بأن تونيب حينما عاد إلى المنزل لأخذ البذور كانت تمشط شعرها فأعجب بهيئتها وانتهز فرصة عدم تواجدي

وأراد أن يراودها عن نفسها فرفضت وأخبرته أنها في مقام

والدته ولكنه لم يستمع لحديثها وأخذ في الاعتداء عليها

حتي أصبحت في تلك الحالة التي أراها وطلبت مني بخبثٍ ألا أمس تونيب بسوء فهو أخي الوحيد، وهي لا تريد أن تكون سبباً في تفتيت شملنا أو بمصيبة تحل بأحدنا .

طلبها الأخير يا سيدي جعل آخر معاقل الحكمة تتهدم بداخل

عقلي وجعلني أفقد السيطرة والتحكم في غضبي ، كنت أهوجَ

ولم أترك لعقلي الفرصة في التفكير بأخي وأخلاقه التي ربيته عليها وعندما صدقت زوجتي كنت قد أهنت تربيتي .

سمعت أصوات الأبقار والماشية تقترب من المنزل فعلمت أن

أخي قد شارف على الوصول فأخذت البلطة المعلقة على الحائط

والتي كنا نستخدمها في تقطيع الأخشاب واختبأت خلف الباب

لأقتل أخي بمجرد دخوله وأكون حينها قد ثأرت لشرفي .

ومن حسن حظي أن أخي قد شعر بوجود شيء ما فقد كنت معتاداً

أن أدخل معه الماشية والأبقار إلى مكانها المخصص ونضع لهم

ما يكفيهم من العلف والماء حتى الصباح ولكنه في تلك المرة

لم يجدني فخمن أن زوجتي قد أوقدت الشر بداخلي فترك

الماشية وهرب.

أخذت أجري خلفه لأنهي حياته وسط إلحاحه بأن أهدأ وأترك

له الفرصة لأسمع منه كما سمعت من زوجتي ويحاول أن يخرج

السم الذي وضعته في رأسي ولكني لم أستجب له حتى وصلنا إلى مجرى من المياه فقفز أخي وسبح حتى الضفة الأخرى ولكنني توقفت رغماً عن ارادتي فقد كنت لا أجيد السباحة عرف أخي حينها أن تلك أفضل فرصة ليشرح لي ما حدث بينه وبين زوجتي وعندما انتهى من حديثه شعر بأنني أوثر كلام زوجتي على كلامه، وأصدِّقها أكثر مما أصدقه فأخرج من جيبه أداة مدببة وقطع عضوه التناسلي أمام عيني؛ ليبرهن لي عن صدقه ثم وقع على الأرض صارخاً جراء الألم الذي شعر به، كانت كل صرخة تخرج منه يا سيدي تذيب روحي ببطء ثم أخيراً قام مترنحاً وأخبرني بأنه سيذهب لأي مكان آخر يعيش فيه وأني لن أراه مرة أخرى حتى لا يذكرني بزوجتي وفعلتها .

حينها فقط تأكدت من صدق أخي وندمت أشد الندم عما وصلَتْ إليه حاله نتيجة تسرعي، عدت أدراجي إلى المنزل وكنت مشتتاً ولا أعرف ماذا أفعل غير أن بداخلي ثورة عارمة من الغضب تجاه زوجتي.

استقبلتني الخائنة بوجه تحاول جعله شاحباً؛ لتنسج باقي خيوط خطتها وكانت البلطة التي نويت قتل أخي بها مازلت ممسكاً بها في يدي تنتظر أن تسمع مني حكم الإعدام ، اقتربت من زوجتي وبدم بارد وابتسامة صفراء رفعت يدي عالياً وبكل ما أوتيت

من قوة هويت بها على رأسها فشجتها وسقطت على الأرض دون أي حركة.
حفرت لها قبراً صغيراً في المنزل ودفنتها فيه ، كم كنت أتمنى أن أُلقي بجثتها وسط الشارع وأقص على الشارد والوارد قصتها!، ولكني عدلت عن تلك الفكرة فهي مهما كانت ومهما فعلت زوجتي .

بعد تلك الحادثة لم أستطع أن أعيش في القرية فقد ذهب أخي وذهبت زوجتي أيضاً وعزمت على الرحيل، فكل شيء في المنزل أو الحقل يذكرني بهما ، فكرت كثيراً أن أخبر الكهنة عن خطيئتي المتمثلة في عدم تصديق أخي الصغير؛ فقتلي لزوجتي لا تعد خطيئة، ولكني رفضت تلك الفكرة، وسافرت إلى قرية أخرى .

أخذت أتقرب للآلهة بالقرابين وأتضرع لهم كثيراً؛ لعلهم يغفرون لي خطاياي ، مكثت على تلك الهيئة عدة شهور أذهب يومياً إلى المعبد بالقرابين وأبكي وأنتحب من طلوع الشمس حتى غروبها .

وفي إحدى الأيام أتتني رؤية في منامي خففت عني كل هذا الألم؛ فقد سمعت صوتاً هاتفاً يخبرني أن الآلهة قد قبلت توبتي ولكني سأعذب قليلاً أثناء رحلتي إلى الآخرة وسيتم إنقاذي بواسطة أحد ملوك مصر العظماء .

عند آخر جملة نطقها زازا كان قد انتهى من سرد قصته وهو في حضرة الملك منتظراً قراره حول مصيره وما ستؤول إليه الأمور،

وهل ستكون نهايته داخل تلك البحيرة المشؤومة أم سيكون من السعداء ويرافقه في رحلته؟.

كل هذا ومحمود يسعى جاهداً؛ ليتخذ قراراً حول مصير ذلك الغريق؛ فهذه هي المرة الأولى التي لا يستطيع فيها أن يستخدم ذاكرة الملك، حاول مراراً وتكراراً أن يعرف ماذا فعل الملك مع زازا لكي يفعل محمود مثله كي لا تسود الريبة والشك أنفس طاقمه؟، ولكن كل محاولاته تُوِّجت بالفشل فاستسلم لمجريات الأمور ونظر لزازا قائلاً:

- إذا جعلتك واحداً من طاقمي ، فهل لك أي عمل أو مهنة تقوم بها ؟

فالكل هنا يعمل كما ترى فسفينتي لا تدنسها أقدام من لا حرفة لهم .

صمت زازا هنيهةً، وقال وهو في نفس وضعه راكعاً تحت أقدام الملك منذ أن خرج من غرفة الطبيب:

كما أخبرتك يا سيدي فأنا مزارع بسيط وليست لدي أي حرفة أخرى ، غير أنني في بعض الأحيان أدندن على ناي كان قد اشتراه لي والدي منذ كنت صغيراً، وتعلمت عليه شيئاً فشيئاً وكان مدربي هو أنا وبمرور الوقت أصبحت أتقنه، ونال عزفي إعجاب أهلي وأصدقائي.

أشار محمود برأسه لاحد أفراد الطاقم فاختفى عن الأنظار

وجاء مسرعاً ومعه ناي ذهبي فخم تظهر عليه علامات الجمال ومهارة الصناعة وأعطاه لزازا الذي تيقن بأن الملك يريد سماع موهبته أو يريد اختباره بمعنى آخر .
استجمع زازا شتات أمره وبأيدٍ مرتعشة وأنفاس مضطربة أمسك الناي وقرب فوهته من فمه وجمع كمية لا بأس بها من الهواء في رئتيه وبدأ يعزف، بعد فترة قصيرة من العزف هدأت أنفاسه واستطاع السيطرة عليها وعلى الناي حتى أصبح هو والناي جزءاً واحداً.

خيم الصمت على السفينة أثناء عزف زازا حتى الأمواج المتلاطمة بها شاركت في ذلك الصمت وكأنها تستمع للعزف .

بعد أن فرغ من عزف مقطوعته سرت موجه من الهمهمة بين أفراد السفينة وعادت الأمواج لعملها الطبيعي مرة أخرى ، كل هذا وزازا يترقب في خوف فمصيره الآن متوقف على طريقة عزفه وجمال لحنه .

رفع محمود يده في إشارة ليهدأ الجميع وقبل أن تعود يده إلى أدراجها صمت الجميع وبدت السفينة كجزيرة مهجورة ثم قال مقرراً مصير زازا:

من الآن فصاعداً ستكون أحد أفراد طاقمي.

جرى زازا ناحية الملك وركع تحت قدميه وقال بنبرة يشوبها

الكثير من الشكر:
شرف عظيم لي يا سيدي وأتمنى دائماً أن أنال إعجابك.

- احتفظ بهذا الناي فهو لك ، وستعزف لي أثناء تناولي للطعام وغيره إن احتجت لك.
- طوع أمرك يا سيدي .

أشار له محمود معلناً انتهاء الحوار وآذناً له بالذهاب في نفس الوقت فوقف زازا وتراجع ببطء إلى أن اختفى عن الأنظار داخل غرفة الطبيب ليكمل عملية شفائه ويكون مستعداً لعمله الجديد داخل سفينة الملك.

أثناء كل هذا كان أحد أفراد الطاقم والموكل بإبلاغ الملك عن موعد اقتراب البوابات على مقربة من محمود ليخبره أن السفينة قد شارفت على الوصول للبوابة الرابعة ولكنه لم يستطع فعل ذلك ومقاطعة حديث الملك مع العضو الجديد للطاقم ، وما إن انتهى الملك من الحوار ذهب ليخبره عن اقتراب البوابة الرابعة وقبل أن يصل إليه كانت حركة السفينة قد هدأت شيئاً فشيئاً حتى أصبحت سرعتها مساوية لسرعة السلحفاة.

اختلفت البوابة الثالثة عن سابقاتها من البوابات، فهذه هي المرة الأولى التي ترسو في السفينة على جزيرة صغيرة عقب مرورها من البوابة ، المنظر يوحي بأن الجزيرة مهجورة نائية وعندما دقق محمود النظر إليها وجد معبداً يتوسطها لا تبدو معالمه، أصبح عنصر التشويق الآن هو السيد المسيطر على

الرحلة مما أضاف لمحمود نشاطاً وحيوية يمكنانه من مواصلة ما بدأه .

ما إن رست السفينة على الجزيرة حتى أسرع محمود بالنزول منها واتجه مباشرة لاستكشاف ذلك المعبد البعيد، شيئاً فشيئاً

كانت معالم ذلك المعبد تتضح أمام محمود فكانت هيئته توحي بأنه قديم قدم الأزل، ولكنه لا يزال ينافس الزمن ليحتفظ بتلك الهيئة بغض النظر أنه خسر بعض الجولات في هذه المنافسة وقد كان هذا واضحاً على أسواره التي تحطم جزءاً ليس بالصغير منها.

اقترب محمود من بوابة المعبد وبخطى ثابتة دلف داخله فوجد نفسه يقف في صالة ضخمة مزينة بصفات من الأعمدة على جوانبها الثلاثة، أما الجانب الرابع فقد كان يحوي باباً كبيراً نسبياً يؤدي إلى الصالة الثانية، مر خلال الصالة الأولى وتوجه للثانيه التي لم تختلف كثيراً عمَّن سبقتها غير أنها مزينة بمجموعة من الرسومات والمناظر المنقوشة على جدرانها، ثم توقف أمام أحد تلك المناظر لبرهة من الزمن فقد كان المنظر يشكل حورس وأنوبيس يتوسطهم الملك المتجسد محمود في جسده وهما يصبان عليه الماء كطقس لتطهيره وذلك قبل أن يرتقي عرش مصر القديمة .

قام محمود بتقديم بعض من الصلوات أمام ذلك المشهد تحديداً والذي أداها الجسد الفرعوني بحركه لا إرادية وعندما أنهى تلك الصلوات أكمل سيره متجها للصالة الثالثة، الغريب في الأمر أن تلك الصالة لم تكن تحتوي علي أية أعمدة أو رسومات كما

هي العادة غير أنها تحوي منظراً واحداً فقط ، منظراً ضخماً منقوشاً يصور معركة دامية بين مجموعة من الجنود متسلحين بالرماح من طرف والطرف الآخر يقف ثعبان ضخم يفوقهم طولاً ويتدلى لسانه والسُّمُّ يقطر منه.
أسفل هذا المنظر يوجد باب صغير على أرضية هذه الصالة اقترب منه وفتحه فوجد سرداباً مُضاءً بمجموعة من المشاعل، وبعد أن هبط داخله وسار على ضوء تلك المشاعل وجد أن السرداب ينتهي بحجرة واسعة بها عدد ضخم من التوابيت المتراصة بترتيب وتناسق غير عاديين، وما إن خطا أولى خطواته داخل تلك الحجرة حتى وجد نفسه يتجه بشكل تلقائي نحو هذه التوابيت مما يوحي بأن الجسد الآن هو المتحكم الرئيسي في محمود، ولن يعطيه فرصة ولو ضئيلة للاختيار بل كل ما عليه فعله هو النظر والترقب فقط لما سيحدث.

أصبح الجسد في منتصف تلك التوابيت أو بمعنى آخر في مركز الحجرة وبصوت أجش راح يتلو تعويذة معينة سرت بعدها رعشة خفيفة في التوابيت بعد أن تبعتها رعشة أخرى في نفس محمود بعد أن عرف المعنى الحقيقي للخوف فهو بمفرده في تلك الحجرة ليس معه أنيس ولا جليس، فجأة تطورت رعشة التوابيت حتى وصلت لحد الاهتزاز ثم رويداً رويداً بدأت تهدأ إلى أن سكنت حركتها تماماً، وكأنَّ شيئاً لم يكن، وفجأة انفتحت جميع أغطية تلك التوابيت في حركة واحدة وفي كل غطاء يوجد رمح مثبت فيه، وداخل كل تابوت توجد مومياء كَسَاها الزمن بالغبار .

بنفس الهيئة التي قام بها محمود من التابوت لأول مرة ، قامت بها المومياوات وأمسكت كل واحدة منها الرمح الموجود في

غطاء التابوت والتفت جميعها ناحية محمود فأصبح قبلتهم كالكعبة، أما الحجيج وبحركة واحدة انحنى الجميع أمام سيدهم منتظرين أوامره بدون أن ينبس أحدهم ببنت شفة.

في نفس اللحظة خرج أبو فيس من الماء وهو عبارة عن ثعبان ضخم يجسد الشر بكل أشكاله مهمته الأولى والأخيرة والوحيدة هي أبطال رحلة الفرعون إلى العالم الآخر والطريقة المثلي لفعل ذلك هي قتل الفرعون، اتجه أبو فيس للمعبد المتواجد فيه محمود وهو يصدر فحيحاً مدوياً دنس الظلام المقدس المخيم على الجزيرة.

أصدر الجسد الفرعوني أوامره للمومياوات بأن يوقفوا الثعبان الذي خرج لتوه من الماء وبكل سرعة اصطفت المومياوات في ثلاثة صفوف وخرجوا من السرداب واتجهوا إلى خارج المعبد لينفذوا مهمتهم المكلفين بها وعندما وصلوا لمنتصف الطريق بين المعبد وشط الجزيرة كان أبو فيس في مواجهتهم تماماً.

دارت معركة دامية اصطكت فيها رماح بعض المومياوات بجسد أبى فيس الضخم، والبعض الآخر لم يعطه الوحش الهائج فرصة لرميه بالرمح، بل كان يمزقه قبل أن يفكر حتى في رفع الرمح لأعلى، كانت أنياب أبى فيس البيضاء هي أكثر شيء ظهر في تلك المعركة .

خرج محمود من المعبد ورأى أمامه ما يحدث فلم يعطه اهتماماً، وتابع سيره حتى وصل لسفينته وأعطى أوامره بالتحرك، فانطلقت بدورها معلنة انتهاء تلك البوابة، وأبو فيس لا يزال يقاتل المومياوات حتى انتهي منها جميعاً، ثم اتخذ طريقه ناحية السفينة التي غادرت لتوها ونزل في الماء واختفى.

تابعت السفينة سيرها متجهة للبوابة الرابعة، وعندما أصبحت في مشارف البوابة وقف محمود واتجه إلى مقدمة السفينة ليلقي التعويذة الخاصة بتلك البوابة ، وبعد أن عبرت السفينة تلك البوابة أكملت سيرها إلى أن وصلت إلى جزيرة أيضاً ولكن بخلاف البوابة الثالثة كانت هذه الجزيرة تحوي قصراً ضخماً استعمل محمود ذاكرة الملك لبعض اللحظات ليعرف فقط ماهية ذلك القصر فعرف أن في هذه الجزيرة سيتم اختبار قوته الشخصية ولن يساعده أيٌّ من أفراد طاقمه، وذلك كأحد الطقوس اللازمة التي يتم من خلالها إثبات قوة الملك لضمان سيطرته على زمام الأمور داخل البلاد.

لم ترسُ السفينة على الجزيرة وإنما تم إنزال قارب صغير منها بداخله محمود وسارت السفينة في محاذاة الجزيرة؛ لتنتظر محموداً في الناحية الأخرى منها.

أخد يجدف؛ ليصل بالقارب ولم تمر دقائق حتى وصل حيث لم تكن المسافة بعيدة، ترجل من القارب واتجه خلال ذلك القصر الضخم .

اقترب من بوابة القصر المصمتة المحكمة الغلق كان التراب يغطيها وكأنها لم تفتح منذ عدة قرون وأمام تلك البوابة وجد محمود أول اختبار لقوته، كان يقف أمام تلك البوابة ثور هائج يصول ويجول، ومهمة محمود هي ذبح ذلك الثور؛ لأن دماءه تعتبر بطاقة المرور الوحيدة التي ستمكنه من فتح تلك البوابة ودخول القصر .

ما إن رأى الثور محمود حتى راح يجري في كل الاتجاهات وكأنه يعرف مسبقاً أنه سيكون كبش الفداء في تلك الليلة، كان الأخير حينها يفكر في عدة طرق ليمسك بها هذا الثور، ووضع عدة احتمالات كان آخرها هي أن يمسك الثور من الأمام فلو فعل ذلك فستحدث أشياء لا تحمد عقباها، استقرت أخيراً فكرة أن يمسك

الثور من ذيله وعندما يفعل ذلك يكون قد وصل لنصف المهمة وبعدها يفكر في كيفية ذبحه، المهم هو الإمساك به أولاً، انطلق يجري خلف الثور بجسد الملك الذي أعاقه بشكل كبير ولم يستطع أن يلمسه حتى، حينها تمنى لو كان يملك جسده الحقيقي، لكان على الأقل استطاع مجاراة الثور في السرعة والمراوغة ، فشلت محاولته الأولى والثانية، وفي الثالثة استطاع أن يمسك ذيل الثور بأطراف أصابعه، ولكن الثور استطاع الخلاص منها وذلك لقوة هيجانه، الوقت يمضي وزمن الرحلة ينقضي وعلى محمود أن يسرع في اجتياز ذلك الاختبار، فكر في كل هذا وفكر في أبى فيس الذي يتعقبه منتظراً الفرصة لقتله.

استجمع كل الهواء الموجود حوله بنفَسٍ طويل عبَّأ منه رئتيه ثم انطلق كالسهم يجري خلف الثور في محاولة سيطر العناد عليها، فإما الإمساك به في تلك المرة أو سيصبح كل ما مر به بالإضافة لاحلامه مجرد لا شيء.

اقترب من الثور وأصبح خلفه مباشرة ولا يفصله عنه سوى خطوة أو اثنتين ، ضغط على نفسه أكثر فأكثر حتى أصبح ذيل الثور يتراقص أمامه مباشرة ومقارباً جداً ليد محمود الممتدة لإمساكه، هاهي خطوة أخرى ثم أمسك ذيل الثور بمقدمة أصابعه ثم راح يدحرج الذيل بين تلك الأصابع بكل بطء، وهو يعاند ضربات قلبه التي وصلت سرعتها القصوى حتى استقرت في راحة يده، وبسرعة أطبق عليها الإغلاق وأخذ يجري مع الثور؛ فمن الجنون أن يقف عن الجري مرة واحدة، وإلا فلن يستطيع أن يحافظ على اتزانه وسيسقط ، أخذ محمود يخفف من حركة قدمه أثناء الجري ليخفف من حركة الثور، بالتاكيد ذلك شيء صعب، ولكن عليه أن يسرع ويوقفه، فلو أفلت من يده فلن يجد القوة ولا الوقت المناسبين لإمساكه مرة أخرى.

حاول جاهداً أن يوقف الثور تماماً، ولكن لم يستطع ذلك هو فقط استطاع أن يجعل الثور يقلل من حركته، وعندما شك بأن هناك احتمالاً أن يفلت الثور من قبضته قفز على ظهره واحتضنه من الأعلى، وعندما استقر على جسد الثور الذي راح يقفز هنا وهنا محاولاً أن يلقي محمود من أعلي جسده، ولكن محاولاته باءت بالفشل فأخذ يجري في كل مكان ، في ذلك الوقت أخذ محمود يزحف بروية وحذر على جسد الثور حتى وصل لرقبته وأحكم سيطرته عليها بشماله، حينها تذكر الخنجر الصغير المثبت بعصابة جلدية حول خصره، والذي لم يكن يعرف فائدته من قبل، عرفها الآن وبيده اليمني راح يتحسس مكان الخنجر وأخرجه ثم بيده اليسرى رفع رأس الثور لأعلى حتى أصبحت رقبته مشدودة كالوتر وبمجرد أن مرر الخنجر على بداية رقبة الثور حتى وصل في لحظات إلى منتصفها، والدماء تنفجر كماسورة ماء تم كسرها

أخذت حركة الثور منحدراً سريعاً من الهيجان والقفز إلى المشي ثم الترنح إلى أن سقط على أحد جوانبه ومحمود بجواره مُغطَّى بالدماء .

هدأ الجسدان بجوار بعضهما البعض، أحدهما كان يلتقط أنفاسه المتسارعة، والآخر هدأت أنفاسه للأبد.

استعاد محمود بعضاً من قوته ووقف بجانب الثور وجسده مُغطَّى بالدماء ثم ذهب إلى البوابة وبعرض يوحي بالشموخ والقوة رفع رأسه عالياً ومد ذراعيه بجانبه وأغمض عينيه وما هي إلا لحظات حتى انفتحت البوابة على مصراعيها، وكأن بها أشعة ليزر التقطت بصمات الدماء المغطى بها جسده.

ما إن انفتحت البوابة حتى ظهر خلفها طريق صغير ينتهي بدرج يؤدي إلى باب القصر والذي انفتح بشكل انسيابي ملبياً رغبة أيدي محمود .

دخل القصر ووجد نفسه يقف في صالة واسعة زاهية الألوان والنقوش مزينة بالنقوش، داخل تلك الصالة تراصت ستة من الأبواب الكبيرة نسبياً عن حجم الأبواب التي رآها في حلته.

استقرت دائرة سوداء في وسط تلك الصالة، ما إن رآها محمود حتى تحرك جسد الملك إليها بحركة لا إرادية، وما إن وقف واستقر في منتصفها حتى انفتحت الأبواب الستة وخرج منها ست عجلات حربية تجرها خيول مزدانة بالشعر الأبيض الكثيف الناعم، وكل عجلة تقودها فتاة عارية تماماً، دارت تلك العجلات في دائرة مركزها محمود عدة دورات.

سائقات العربات يتميزن بأجساد متناسقة تزينها رقصات نهودهن على إيقاع أقدام الخيول بالإضافة إلى تقاربهن في العمر، المنظر الذي جعل محموداً يلتهب من الداخل واشتعلت النشوة في عروقه بشكل أذهله هو شخصياً.

استمرت العجلات في الدوران حول محمود لبعض الوقت ثم دخلت كل منها من الباب الذي خرجت منه وأغلق كل باب من تلقاء نفسه كما فتح وكأن شيئاً لم يكن .

كل هذا كان يوحي ببدء الاختبار الثاني للملك وهو اختبار لقوته الجنسية ، عرف محمود ذلك دون أن يرجع إلى ذاكرة الملك، فكل ما عليه هو أن يُكسِب الفتيات الست لقب امرأة.

توجه إلى الحجرة الأولى ودلف إليها، كانت حقاً فاخرة والألوان الهادئة هي المسيطرة عليها كما رأى العجلة الحربية موجودة بحصانها في ركن منزوٍ من الغرفة.

في ركن آخر من أركان الحجرة يوجد سرير يُبدِي من مظهره الخارجي مهارة وجمالاً غير عاديين في الصنع، يتدلى من أعلاه غطاء أبيض شفاف يخفي ما بداخله ، اقترب وأمسك بطرف هذا الغطاء وبعد أن رفعه وجد الفتاة الأولى التي خرجت بالعجلة الحربية في انتظاره.

التجربة الجنسية الأولى دائماً ما تتعلق بداخل خيوط الذاكرة ولا يمكن للزمن أن يمحوها مهما طال، وذلك ما شعر به بعد انتهائه من فتاة الحجرة الأولى، فقد خاض التجربة بجميع أحاسيسه ولا يدري مَن ساعده على ذلك، هل كان شوق الفتاة أم شوقه هو؟.

تمنى أن يقضي الليلة معها ولكن خوفه على الرحلة كان يفوق تلك الرغبة وما جعله يصبر هو أن هناك خمس فتيات أخريات لا يزلن في انتظاره.

خرج من تلك الحجرة وما إن خطت قدماه خارجها حتى اختفى بابها وحل الجدار محله وكأنها لم تكن ، ثم توجه تلقائياً للحجرة الثانية ومثلما فعل مع الفتاة أو المرأة التي سبقتها فعل معها ولكن باستمتاع أقل، وما إن فرغ منها وخرج من الحجرة اختفت هي الأخري مثلما حدث مع الأولى.

نوى محمود أن يتعجل في باقي الحجرات وذلك لوقت البوابة وقبل أن تخط قدماه داخل الحجرة الثالثة طرحت نفسه عليه سؤالاً، هل ما يقوم به صحيح أم خطأ؟؛ فهؤلاء النسوة لا يحللنْ له بالإضافة أنه لا يستخدم جسده أو أي عضو من أعضائه في تلك الرحلة عامة

أو أثناء تلك البوابة خاصة ، روحه فقط هي التي تعتبر آلة لتحريك هذا الجسد الفرعوني وهنا جاءته إجابة:

- لكنك مجبر على ذلك وإن لم تفعله برغبتك لفعله الجسد من تلقاء نفسه كما كان يحدث من قبل عندما كان يذهب لإلقاء تعاويذ البوابات.

إجابة أخرى جاءت لتردَّ على هذه:

- ولكنك تتمتع مع كل واحدة من أولئك النسوة وكأن الجسد جسدك.

ردت الأولي :

- أنت تفعل ذلك لإتمام المهمة كما وعدت أباك وعمك وأيضا لتحقيق حلمك الذي دائماً ما سعيت خلفه وكان جواب والدك بالرفض دائماً، وتلك هي الفرصة الوحيدة التي سيوافق فيها ولن تسنح لك الفرصه مرة أخرى.

وقبل أن تطرح نفسه عليه أية تساؤلات هز رأسه لينفض تلك الأفكار التي امتزجت بعقله وعطلته عن رحلته لبعض من الوقت ومد يده ليفتح باب الحجرة الثالثة.

كانت قوى محمود تقل تدريجياً بعد انتهائه من كل فتاة، وما إن انتهى من الفتاة الأخيرة حتى خارت قواه، ولكنه تماسك في اللحظات الأخيرة وحاول جاهداً أن يحافظ على الجزء المتبقي من قوته ليمكنه من الخروج من ذلك القصر، وإنهاء

ذلك الاختبار الفردي الذي واجهه بدون تدخل أيّ فرد من أفراد طاقمه.

ما إن خرج من باب الغرفة السادسة حتى اختفى مثلما حدث مع غيره من الأبواب، ووجد نفسه يقف وحيداً مرة أخرى في تلك الصالة الواسعة، وبينما هو يتساءل: عمَّ يحدث بعد ذلك ويتأمل أركان الصالة؟، إذ وجد باباً صغيراً لم يكن قد رآه عندما جاء لأول مرة، وعندما استخدم ذاكرة الملك ليعرف ماهية هذا الباب عرف أنه قد ظهر بمجرد اختفاء باب الحجرة السادسة.

بخطى ثقيلة اقترب من الباب وفتحه فوجد درجاً يؤدي إلى دهليز أسفل منه تضيئه مجموعة من المشاعل أيضاً، هبط محمود داخل الدهليز بعدما أغلق الباب خلفه، استمر في المشي داخل الدهليز والذي تيقن أن المخرج في نهايته وذلك بعدما شاهد بعض الرسومات المنقوشة على جوانبه والتي توضح ذلك ، ولكن شيئاً فشيئاً لم تستطع قدماه أن تحملاه وشعر بتصدع في عظام قدمه، وكأنها منزل قد أصبح آيلٌ للسقوط في أية لحظة، وفجأة سقط على الأرض وهو يفكر في تلك الكارثة التي قد تؤدي إلى فشل الرحلة برمتها.

بعد لحظات من التفكير استجمع شتات أمره وحاول أن يقف ليكمل سيره، ولكنه لم يستطع ثم قرر أن يكمل السير داخل الدهليز حبواً وراح يمشي على يديه وقدميه كطفل صغير

وبعد فتره شعر أن بإمكانه المشي فوقف وواصل السير متكئاً على جانبي الدهليز وبعد فترة أخرى جلس على الأرض وراح يكمل سيره حبواً حتى شارف الدهليز على الانتهاء.
قبل نهاية الدهليز بخطوات قليلة استجمع الجزء المتبقي من قوته ووقف؛ ليكمل مشواره سيراً على قدميه حتى يصل إلى السفينة؛ لأنه يعلم تماماً أنها بانتظاره في الخارج ولا يريد أن يراه أحد من أفراد طاقمه بتلك الهيئة فتهتز صورة ملكهم القوي في مخيلاتهم بل يريد أن يروه في كامل صحته كما عهدوه دائماً؛ فتلك ليست بالمهمة التي بإمكانها إجهاد ملكهم؛ لأنه قوي وسيظل كذلك دائماً.

ما إن خرج من الدهليز حتى وجد السفينة قد رست في إحدى جوانب الجزيرة تنتظر قائدها؛ لتكمل مراسم رحلتها، مشى محمود إليها بخط حاول جعلها بقدر الإمكان ثابتة ونواقيس الألم تضرب في كل جزء من قدمه وما إن وصل إلى سفينته وصعد على متنها اتجه إلى عرشه ثم ألقى بجسده على كرسيه الملكي وأعطى الأوامر بالتحرك ثم راح في سبات عميق.

استيقظ محمود على صوت ضوضاء عمت جميع أرجاء السفينة وأصوات سيوف تتلاحم مع بعضها البعض، رأى أفراد طاقمه يقتلون واحداً تلو الآخر، وكلهم يبارزون شخصاً واحداً فقط، شخصاً واحداً يمتلك المهارة التي تجعله يسقط أفراد طاقمه صرعى

بل يمكنه القضاء على بلدة بأكملها؛ لأن الشيء الذي لا يعرفه أن هذا الشخص هو " ست " إله الشر في العالم القديم.

راحت التساؤلات تتزاحم في عقل محمود بسرعة:

- هل سيُقتل وينتهي كل شيء ؟.
- هل ستتوج هذه الرحلة بالفشل بعد هذا الشوط الذي ليس بالقليل بعد ما أصابه كم الجهد والكد اللذين عاشهما في سبيل إنجاحها ؟
- هل سيستيقظ ليجد بجانبه الشيخ عبد المتجلي مهموماً حزيناً يخبره أن كل شيء قد انتهى، بل والأهم من هذا وذاك هل سيلتحق بأحد أندية كرة القدم كما وعده والده في حالة إخراج الكنز أم سيتراجع عن وعده؟.

الغريب في الأمر أنه لم يجد ست على جدران مقبرته المسجل عليها رحلة البوابات، إذن كيف أتى؟، وماذا سأفعل معه؟، وكيف أحمي القلة المتبقية من أفراد طاقمي؟.
ليكونوا عوناً لي في البوابات المتبقية أمامي ؟.

قطع هذه التساؤلات مشهد ست وهو يقضي على آخر فرد من أفراد الطاقم ويتجه بخطى مرعبة ناحيته بعد أن ظهر شبح ابتسامة على جانب شفتيه، ذلك المشهد كان كفيلاً بأن يجعل قلب محمود ينبض بعنف بل ويموت ألف مرة في كل خطوة يخطوها ست ناحيته.
أرعبته فكرة أن يقتل حتى وإن كان الجسد ليس جسده حتى وإن كان سيستيقظ ليرجع لعالمه مرة أخرى؛ فألَم القتل الذي كان يراه دائماً مرسوماً على وجوه ممثلي الأفلام وغيرهم

سيشعر به الآن لا محالة، ماذا سيفعل صبي لم يمسك السيف في حياته مع آخر يمكنه استخدامه ببراعة وخفة كما شاهد؟، بل ماذا سيفعل بشري عادي إمام إله؟، هو بالتاكيد هالك لا ريب .

وفي محاولة بائسة منه التقط إحدى السيوف الملقاة على الإرض كوسيلة للدفاع عن نفسه عند انقضاض ست عليه وهذا ما حدث، ما إن أمسك بالسيف حتى انقض عليه ست شاهراً سيفه ضارباً إياه به لكن بحركة تلقائية تلقى محمود تلك الضربة وبحركة سريعة منك وجه لست ضربة تلقاها هو الآخر ثم رجعا للخلف في آن واحد.

لم تستمر المعركة سوى بضع دقائق حتى عالج سيف ست محمود وقد غرس نصله في منتصف قلبه كطبيب ماهر يعرف جيداً كيفية استخدام أدواته ثم أدار سيفه نصف دائرة ليوفر له موتاً سريعاً خالياً من أي سكرات.

شهق محمود واستيقظ من نومه فزعاً لاعناً ذلك الكابوس الذي نتج عنه صداع يكاد يجتاح رأسه ، فوجد نفسه في غرفته الخاصة، وبعد أن أفاق تذكر أنَّ آخر مرة ألقى بجسده على كرسيه الملكي، فما الذي جاء به إلى هنا؟، ومن الذي نقله؟، بل وكيف فعل ذلك بدون أمر منه ؟

فرك عينيه وغادر سريره متجهاً للخارج؛ ليعرف ماذا يجري في سفينته؟، وإلى أين وصلَتْ؟، فتح باب الحجرة فلم يجد أيّ فرد من طاقم السفينة، الكل قد ترك أماكنه والسفينة قابعة وسط الماء في هدوء تام.

فكر أنه ربما يكون ما زال داخل الحلم؛ فقد كان يصادف كثيراً أثناء نومه أنه يحلم ويستيقظ؛ ليكتشف أنه مازال في نفس الحلم .

قرر أن يتمشى في أرجاء السفينة لعله يجد إجابة لما يجري، وبينما هو كذلك إذ وجد طاقمه بأكمله راكعاً أمام كرسيه الملكي، ولكن مهلاً، لا يوجد على السفينة ملك غيري، راح يتساءل: إذن لمَن يركع هؤلاء البلهاء ؟

تقدم؛ ليرى من ذلك الشخص الذي لديه من الجرأة ما يكفي ليجلس على عرشه ويركع له طاقمه، وما إن أصبح على مقربة من العرش حتى نظر جلياً للشخص الجالس عليه نظرة لم تدم لثوانٍ حتى خرَّ هو الآخر راكعاً، فقد كان الشخص الجالس هو الإله حورس أحد أعظم آلهة مصر القديمة والابن الوحيد لإيزيس وأوزوريس العظيمين .

بادر محمود بالتحدث بلهجة يملؤها الخضوع :

شرف عظيم زيارتك المقدسة لسفينتي المتواضعة يا سيدي .

رد حورس بصوت رخيم يشوبه الكثير من الهيبة والوقار قائلاً:

لم آتِ للزيارة أيها الملك؛ فأنا لديَّ دور في رحلتك هذه ، وقبل أن يكمل كلامه تذكر محمود رسومات جدران مقبرته أنه سيشاهد

حورس أثناء رحلته ثم أكمل حورس كلاماً:

- وكيف هو الحلم الذي رأيته للتو ؟، هل أتاك ست وهدد بفشل رحلتك ؟

لم يتعجب محمود من معرفه حورس بشأن الحلم فهو كما قال يأتي لدور في رحلته هذه فأجاب قائلاً :

- نعم يا سيدي لقد رأيته وهو يقتل جميع أفراد طاقمي وبعد أن انتهى منهم، صمت هنيهة وقال: قتلني أنا أيضاً، حاول قدر الإمكان أن يجعل صوته هادئاً في جملته الأخيرة .

أشار حورس لمحمود والجميع بأن يقفوا وأمر الجميع بإكمال ما كانوا يفعلونه وأن يذهب كل فرد لعمله وقال مفكراً:

- هذا يوحي باقتراب موعد هجومه على سفينتك، كن حريصاً أيها الملك، وإياك والخطأ فكما وعدت والدي العظيم أوزوريس بأن أحمي جميع الملوك من هجوم ست ولم أفشل مرة واحده في ذلك ، فكل الملوك مروا من تلك البوابة الخامسة دون أن يمسهم مكروه وعليك أن تحرص على المرور بنجاح أنت أيضا من هنا وجميع البوابات المتبقية لديك.

لم يلفت انتباه محمود في حديث حورس سوى جملة " البوابة الخامسة " فهو يتذكر قبل أن ينام كانت سفينته في البوابة الرابعة إذن قد مرت السفينة عبر البوابة الخامسة وهو نائم وبالتاكيد حورس قد جاء على متن السفينة وهي ما زالت في البوابة الرابعة وإلا من استطاع أن يعبر بها سواه بدون أن يواجه حراس البوابات ويمر منهم بسلام .

- أعدك يا سيدي أن أبذل قصارى جهدي لأوفق في رحلتي وأن التحق بسيدي أوزوريس رب العالم الآخر ولكن لدي سؤال صغير ، هل تسمح لي بطرحه ؟.

كان حينها قد لعب الفضول برأس محمود لعبته فهو كما قرر سيحاول الاستمتاع والاستفادة من تلك التجربة الفريدة إلى أقصى الحدود.

اعتدل حورس في جلسته بعد جملة محمود الأخيرة وهز راسه بالموافقة متعجباً فهذه أول مرة يطلب منه أحد الملوك أثناء رحلاتهم أن يطرح عليه سؤالاً، وقبل أن يستطرد محمود في كلامه جاء ساقي الملك وهو يمسك في يده صينية عليها جرة من النبيذ ذهبية الشكل بالإضافة لكأس فخم عليه بعض النقوش بالإضافة لبضع ثمرات من الفاكهة واضعاً إياهم أمام حورس .

أمسك بالكأس وصب فيه النبيذ وأعطاه لحورس منحنياً فأخذه الثاني وراح يشرب منه.

انتظر محمود حتى انتهى الإله من الكأس والذي أعطاه للساقي واضعاً إياه هذا الأخير بجانب الجرة وعاد من حيث أتى.

- أود أن أعرف يا سيدي ما هية الصراع القائم والعداوة الناشبة بينك وبين ست.

استشاط حورس غضباً بعد سماعه لسؤال محمود وصرخ قائلاً:

- ماذا ... ماذا تقول أيها الملك؟، ألا تعرف ديانتك حق المعرفة؟، ألم تقرأ فيها من قبل؟، ألم تسمع من مربيك أو يعلمك الكهنة شيئاً؟.

رد محمود مسرعاً محاولاً امتصاص غضب حورس بعد أن عبث قليلاً في ذاكرته ليجد الرد المناسب:

- بالتأكيد يا سيدي تعلمت ديانتي حق التعلم منذ الصغر وعلى أيدي أعظم كهنة آمون، ولكني عاهدت نفسي أن أبحث عن الحقيقة الكاملة لكي لا يكون بداخلي أي ذرة شك، فهناك بعض الخيوط التي لم تتشابك بعد وحين رأيتك وجدت الفرصة سانحة لأعرف منك الحقيقة ، بالتأكيد سأعرف ما لم أعرفه أو أتعلمه من أي كاهن بالإضافة إلى بعض الأقاويل التي تنبئ بأحقية ست للعرش منك؛ لأنه كما قيل يكبرك سناً وأكثر منك خبرة بإدارة البلاد بل وفي إحدى الفترات اختلط الحابل بالنابل لدرجة أن جهر البعض بعبادتهم لست علانية مؤمنين كل الإيمان بأنه أحق بعرش مصر منك من بعد والدك.

مال حورس قليلاً للخلف ليتخذ وضعية القاص وبدأ في الحديث :

- سأقص عليك من بداية كل شيء من قبل أن يخلق أوزوريس وست منذ أن كان الإله رع فقط في هذا الكون ويسكن التل الأزلي لتصحح معتقداتك ومفاهيمك إن كان يشوبها شائبة وأيضا لكي تعلمها ممن سيحتاج المعرفة منك.

قفز قلب محمود فرحاً فهو فقط لن يعرف قصة ثأر حدثت من آلاف السنين وتعتبر أحد أركان الديانة المصرية بل سيعرف قصة الخلق أيضاً، سيعرفها من إله وليس من شخص عادي أو من كتاب موضوع فوق رف من رفوف المكتبات ، سيعرف معلومات يأتي الباحثين والمنقبين من انحاء العالم ويستمروا بالبحث لعقود ليصلوا لجزء منها .

- أراد رع أن يؤنس وحدته ففكر في خلق شيء جديد ليعمر به الكون ويدب فيه الحركه بعد أن كان هادئاً ساكناً، فكر في بداية الأمر في خلق أشخاص تكون في مناص الآلهة ويولي لكل منها مسؤولية محددة لإدارة الكون فخلق أول ما خلق "شو " إله الهواء و " تفنوت " آلهة الشمس والقمر ثم بعد ذلك تزوج الاثنان فأنجبا " جب " إله الأرض و " نوت " آلهة السماء .
وبعد أن تزوج الأخيران أنجبا اثنين من الذكور ومثلهما من الإناث، الذكور هما أوزوريس وست، والإناث إيزيس ونفتيس ثم جاء من بعد ذلك خلق البشر، تزوج أوزوريس من إيزيس وست من نفتيس .

كان أوزوريس بطبعه محباً للخير والسلام وأصبح يعلم البشر كيفية الزراعة وأسس الصناعة حتى ألفه الجميع وأحبوه بخلاف ست والذي كان دائم السهر ومجالسة رفاق السوء بالإضافه لسخطه على أخيه.

وفي أحد الأيام لعبت الغيرة لعبتها في نفس ست وأضمر الشر لأخيه وأراد التخلص منه ليحكم الارض من بعده ويحتل عرش مصر ففكر وفكر إلى أن اهتدى لحيلة تطفئ لهيب الغيرة والحقد المشتعلة بداخله منذ سنوات، ذهب إلى واحد من أمهر صناع

التوابيت وأمره بصناعة تابوت ممرد بالذهب الخالص والأحجار الكريمة وأعطاه مقاسات التابوت من الطول والعرض وخلافهما

وبعد أن انتهى الصانع من إعداد التابوت قام ست بعمل حفل ضخم من حفلاته المعهودة ولكن هذه المرة كان حفلاً من نوع خاص فقد أغدق على الحضور بالطعام والنبيذ الفاخر لأنه حفل عرف تماماً في قرارة نفسه أنه سيكون حفل تتويجه، أكل الجميع ومرح وشرب حتى الثمالة وقبيل نهاية الحفل أشار ست لبعض الخدم فذهبوا وعادوا بعد لحظات ومن زاوية يراها الجميع خرج أربعة منهم وهم يحملون التابوت ، كان شكل التابوت كفيلاً بأن يجعل جميع العيون تتعلق به وتتساءل في ذهول عن ثمن ذلك التابوت كما امتدح البعض صناعته.

رأى ست أن خطته شارفت على النجاح فها هي عيون الناس التمعت إعجاباً بالتابوت الذي صرف من أجله الكثير ليكون بهذه الروعة والبهاء ثم وبإشارة منه أنزل الخدم التابوت في منتصف القاعه واقترب ست منه ثم قال بنبرة يملؤها الحماسة:

- ضيوفي الأعزاء كنت في البداية أردت أن أريكم التابوت الذي سأُوضع فيه بعد مماتي لكني وبعد الذي رأيته في أعينكم تجاه ذلك التابوب فقد قررت أن أعطيه لواحد منكم، سرت هَمْهمه بين الحضور ثم أكمل حديثه مقاطعاً الجميع، ولن يدفع ثمنه أو يبذل الكثير فكل ما عليه أن يكون جسده مناسباً للرقود بداخله والتمعت عيناه في مكر ودهاء واضحين .
تدافع الحضور على الصندوق والكل يريد أن يظفر به وراح ينام فيه الطويل والقصير البدين والنحيف والمضحك تلك المرأة الممتلئة التي حشرت نفسها داخلها وأخرجها الخدم منه بصعوبة.

انتهى معظم الحضور تقريباً وما زال الصندوق لا يناسب أي واحد منهم رافضاً الجميع فنادى ست أوزوريس مخبراً إياه أن يجرب حظه هو الآخر، أوسع الجميع له الطريق مهابة واحتراماً وهدأت الأصوات المتزاحمة، أدخل أوزوريس جسده التابوب الذي دهش الجميع وهو أيضاً أن التابوت يناسبه تماماً وبنبرة ساخرة قال:

- إنه يناسبني تماماً وكانه صنع خصوصاً لي.

أسرع ست وهو يغلق التابوت قائلاً والشر واضح جلي على قسمات وجهه:

- أجَل، لقد صنع خصوصاً لك.

أعطى ست أوامره لحاملي التابوت بأن يرفعوه ويذهبوا به إلى الخارج وهو يتبعهم، حدث كل هذا في لحظات معدودة والكل فاغر فاه متعجباً جراء ما حدث ولم يستطع أي منهم أن ينبس ببنت شفة ومن منهم يستطيع ذلك ويقف في وجه ست ذلك الشر المتجسد في كائن يمشي على الأرض.

أمر ست أن يُرمى التابوت في الماء ومات والدي غرقاً ولكن إيزيس لم تقف مكتوفة الأيدي وأخذت تجوب الارض ذهاباً وايابأ حتى وجدت التابوت وأخرجت والدي منه ثم احتضنته وأخذت تنتحب وتنوح على ما حدث له ، أخذت تبكي مصر أيضاً وما حدث لها بعد موت زوجها، أخذت تبكي شعب مصر الطيب ومصيرهم في ظل حكم ست والظلم والاضطهاد والفوضي التي ستعم البلاد .

كانت دموعها الملتهبة بنار الحب والشوق تتساقط فوق وجه أبي ثم هنا حدثت معجزة تحاكى وسيتحاكى بها العالم لآلاف السنين فقد عاد أبي من العالم الآخر أو بمعنى أدق عادت روحه، لم يفعلا شيئاً بعدها سوى المضاجعة، وكان سبب

حمل أمي بي وولادتي بأوامر إلهية وتدبير ما بعده تدبير

لأخلص العالم من شر ست ، لكن فرحة أمي لم تدم طويلاً إذ كان ست وبعض حراسه يتجولون في الأحراش وعندما شاهدوا أبي أمر ست الحراس بقتله على الفور .
لم يكتفِ من ذلك بل قام بتقطيع الجثة إلى اثنتين وأربعين قطعة بعدد أقاليم مصر ودفن كل جزء في إقليم حتى يضمن عدم رجوع والدي للحياة مرة أخرى، وهذا ما حدث.
اضطربت الأجواء في تلك اللحظة فتوقف حورس عن السرد وبدا عليه التركيز لما يجري ، ظهرت شرارة برق في السماء ثم ما لبثت أن ازدادت بشكل مفاجئ مما ينذر بحالة عدم استقرار جويّ ستتعرض لها السماء قريباً، وراحت السحب تصطك ببعضها البعض ، ويبدو أن الأمواج قد أصابتها الغيرة هي الأخرى فأخذت تضرب السفينة بقوة وعنف مما جعل السفينة تتراقص يمنة ويسرة كراقصة في بداية مشوارها الفني العظيم .
ظهر القليل من الخوف على وجوه بعض من طاقم السفينة والبعض الآخر لم يستطع الخوف أن ينال منه إذ كيف يخاف وهم في حضرة حورس العظيم؟ .
وبينما يسبح الجميع في بحور تساؤلاتهم ظهر فجأة كائن ضخم وسط المياه بجسد أسطواني الشكل وأملس الشعر يشبه فرس النهر بل هو فعلاً ولكنه يختلف عنه بعض الشيء ، كان حورس حينها قد وقف وهو يتابع ما يجري في الأفق ثم تابع ظهور ست المتحول بشكل فرس النهر فهو في الحقيقة لا يشبه فرس النهر وإنما تشبه به لينال قوته داخل الماء.

ظهرت أجنحة حورس من خلف ظهره وانطلق للأعلى كالصاروخ متجهاً لذلك الكائن وراحا يتقاتلان واشتركت معهما حالة الطقس فزادت في الاضطراب أكثر مما كان، تجاهل محمود كل هذا وأعطى أوامره للتحرك نحو البوابة السادسة كي لا يستنفذ من وقت الرحلة أكثر من هذا.

قبل أن تصل السفينة للبوابة التالية جاء الرجل الموكل بإبلاغ الملك عن موعد قرب البوابات وركع أمامه ثم أعطاه لفافة من البردي، استغرب محمود في بادئ الأمر فهذه أول مرة تحدث في تلك الرحلات، فتح الرسالة وراحت عيناه تقرآن ما سطر بداخلها :

" من رمز الخير والعدل ، ابن أوزوريس العظيم وإيزيس صاحبة الوفاء والإخلاص الدائمين، اعلم أيها الملك أنك مدين لي بمعروف سوف تتذكره دائماً ولا أحتاج رده منك فأنا قد فعلت معك ما لم أفعله مع أحد ممن سبقوك ولن تكون هناك فرصة أخرى لأفعله مع من بعدك فليس هناك مجال لتكرار ما قمت به فأنا لأول مرة سأخرق القوانين وأخرج عن حكم مجمع الآلهة وسأقاتل ست حتى الموت ، في السابق كنت أشغله عن الفرعون وما إن يبتعد بسفينته بالقدر الكافي أتركه وأعود من حيث أتيت ولكن تلك المرة لن أعود حتى أسلبه روحه أو يسلبني هو إياها كما أود من أن تنقل تلك الرسالة إلى أوزوريس العظيم أيضاً، أريدك أن تعلم أني قد مررت بك من ثلاث بوابات وليس من بوابة واحدة كما تظن وذلك كهدية لك لأنني سأنفذ انتقامي أثناء رحلتك، تفاخر وتعاظم أيها الملك وأخبر العالم السفلي وكل من تقابله أن حورس قتل ست أثناء رحلتك أنت وليس في رحلة أحد غيرك ".

ثم وجد في آخر الرسالة إمضاء " المنتصر لأبيه "

بعد أن انهى محمود تلك الرسالة خالجته أحاسيس متناقضة حيث شعر بالفرح مرة إذ مقتل ست ربما سيكون في مصلحته أثناء رحلته؛ لأن ست رمز للشر وبالتأكيد ستكون هناك إفادة من اختفائه من العالم السفلي كما شعر بالخوف؛ لأن ذلك لم يكن في حساباته أو حسابات ذلك الشيخ الذي ألقى به في تلك الرحلة وهو لا يعلم جيدا ماذا سيحدث له فيها؟، وربما كان عليه أن يضع في حسبانه جميع الاحتمالات الوارد حدوثها كما شعر بالغضب؛ لأنه تمنى أن يكون هو بالفعل ذلك الفرعون وأن هذا قد حدث أثناء رحلته هو ، لكان اسمه قد سجل في التاريخ وحفظته الأجيال فهو الفرعون الذي قُتل ست في رحلته وحتما كان الكهنة سيقيمون معبداً خصوصاً له وتُنحت التماثيل التي تحمل هيئته وتوضع على جدران ذلك المعبد وسيأتي جميع طبقات الشعب المصري والشعوب الأخرى؛ليتبركوا به ولكن لا بأس فما حدث قد حدث وحاول صب جم تركيزه على رحلته والجزء القليل المتبقي منها.

إذن هو الآن على مشارف البوابة الثامنة ، أخذ يراجع التعاويذ التي سيلقيها على حراس تلك البوابة مستمتعاً بالأجواء من حوله ونسائم النيل التي هبت لتضيف لروحه القليل من الراحة والاسترخاء .

اقتربت السفينة من البوابة الثامنة فقام متجها إلى مقدمتها ليلقي بالتعاويذ الخاصة لحراس تلك البوابة، قبل البوابة بأمتار قليلة توقفت السفينة منتظرة أن يأخذ الملك الإذن بالمرور وهذا ما حدث ومثلما فعل مع البوابات السابقه فعل مع تلك البوابة فهدأت الثعابين واستكانت وعاد محمود ليجلس على عرشه بعد أن انطلقت السفينة مكملة رحلتها .

تذكر البوابة الثامنة عندما قرأ ما سيحدث معه فيها وهو في مقبرته، كان يعلم أن هذه البوابة ستكون بمثابة تغير في موازين

قوة طاقمة وراحت الابتسامة تظهر على وجهه وهو يتذكر ما سيحدث معه في تلك البوابة التي انتظرها دون غيرها من البوابات .

رست السفينة على شيء أشبه بالجزيرة ولكنها لم تكن توحي بذلك إذ كانت كل ما تحويه بها هو كهف مظلم لا يظهر القمر منه سوى مدخله فقط .

هبط محمود ومعه ثمانية من طاقمه وكل اثنين منهم يحملان صندوقاً وعندما وصلوا إلى الكهف أمرهم أن يضعوا الصناديق جانباً ويعودوا أدراجهم إلى السفينة فقاموا بذلك على الفور مطيعين أوامر ملكهم .

أخذ ينظر إلى الكهف ومدخله وحاول جاهداً أن يشاهد ما بداخله ولكنه لم يرَ شيئاً، تأمل الكهف من الخارج والهيبة والرهبة اللذين يحيطان به وهو قابع وسط الظلام بلونه القاتم مثل الثقب الأسود الذي يبتلع أي شيء يقترب منه ، تشجع وبخطى بطيئة اقترب من المدخل ثم دلف إليه، والرؤيا تقل من حوله إلى أن انعدمت وأصبح لا يرى شيئاً سوى الظلام .

- مرحباً ، هل من أحد هنا ؟!

قالها محمود محاولاً التخلص من نبرة الخوف التي ظهرت في جملته وعندما لم يجد إجابة أردف قائلاً: هل يسمعني أحد ؟.

شعر بهمسات وأصوات خفيفة من حوله تحوطه ثم ما لبثت أن ازدادت إلى أن أصبح يسمعها بوضوح ثم سمع من يقول :

- بريتا ، انظري لدينا زائر .

كان ذلك الصوت يشبه صوت امرأة عجوز ماتت من عشرات السنين ثم رد عليه صوت آخر يشوبه بعض من الأنوثة:

- حقا ؟ مر وقت طول لم يأتِ أحد إلى هنا ، أظن أننا سنحظى ببعض المتعة ، ثم قهقهت ضاحكة .

من تجرأ ودخل مملكتنا فهل هو غريب أم روح تائهة ضلت طريقها؟ ، إن كان هناك مَن يحاول أن يعبث ودخل إلى هنا قاصداً إزعاجنا فستكون تلك نهايته وسأرسل روحه إلى الهالكين مع مَن سبقوه .

كان هذا الصوت يختلف عن الاثنين اللذين سبقاه ، إذن محمود الآن يواجه ثلاثة كيانات لا يعرف عنهم سوى التمييز بين أصواتهم .

تنحنح محاولاً أن يُكسِب صوته بعضاً من القوة وقال: متفاخراً:

- أنا ابن الآلهة ، ملك مصر العليا والسفلة محبوب آمون رع أتيت لأكمل مراسم رحلتي هيا لتنالوا شرف خدمتي وسأغدق عليكم ما تشاؤون من الذهب الذي يسحركم ببريقه الأصفر ولا تستطيعون مقاومته .

وفجأة أُضيء الكهف بأكمله من العدم ولم يعرف محمود مبعث ذلك الضوء ولكنه اطمأن وحمد الله في سره فالضوء أفضل من الظلام على أي حال .

ما إن استطاعت عيناه أن تميز ما حوله بسبب قوة الضوء الذي كان أقوى من أي ضوء رأته من قبل أثناء تلك الرحلة إذ وجد أمامه تمساحاً ضخماً أسود اللون على غير العادة تقف بجواره ما تشبه حورية البحر .

- مرحباً أيها الملك ، لعل سبب قدومك إلى هنا أنك تحتاج مساعدتنا ؟

كان ذلك صاحبة الصوت العجوز ولكنها لم تكن ممن يقفون أمامه فنظر إلى الأعلى ليرى مبعث ذلك الصوت فوجده كياناً لم يره من قبل أو يوجد ما يشبهه وكل ما لاحظه أن ذلك الشيء ملتصق بالحائط وتساعده قدماه على ذلك .

- نعم ، وقد جلبت معي ما تريدون وأكثر من الذهب وهو موجود الآن بجوار مدخل الكهف.

تكلم التمساح ونبرة السعادة واضحه على صوته:

- يتضح لي أنك تعرف جيداً ما يستطيع أن يحرك نفوسنا ولا نرفض أي طلب لحامله .
- بالطبع فأنا أريد أن أتم رحلتي هذه على أكمل وجه لأستطيع الوصول إلى حقول الأيارو وأخلد في العالم الآخر مع من سبقوني من أهلي والملوك الأوائل ولا أود أن يحدث خطأ مهما كان صغيراً أثناء تلك الرحلة .
- لا تقلق أيها الملك فأنت قد اخترت من هم أفضل من المناسب لمساعدتك .
- بالفعل يا جاجيت لقد اختار الأنسب لمساعدته ولكن أخبرنا في البداية عن نوعية تلك المساعدة وهل هي تستحق قدومك إلى هنا أم لا؟ ، قالها التمساح متسائلاً .

استنتج محمود أن صاحبة ذلك الصوت العجوز والملتصقة بالحائط اسمها " جاجيت " ، إذن بريتا هي تلك الشبيهة بالحورية الواقفة بجوار ذلك التمساح ، فما هو اسم ذلك الأخير يا ترى ؟ تساءل في نفسه.

أكمل بعد أن شعر بأنه قد اقترب من غايته واطري علي نفسه بصمت إذ ذكر أمر الذهب قبل أي شيء مما سهل عليه الحديث مع هؤلاء الوحوش وقال:

- أبو فيس .

وقعت تلك الكلمة كثقل ضخم على رؤوس الثلاثة فهذا كان واضحاً جلياً أمامه ولم يدع لهم فرصة للحديث فأكمل:

- ماذا .. هل مجرد ذكر اسمه أصمتكم وجعلكم خائفين إلى هذا الحد ، أين ذهب حديثكم منذ قليل بأنني اخترت الأقوى والأنسب لطلب المساعدة ؟

هنا تحدثت بريتا وقد ذهبت نبرة الأنوثة من صوتها وأصبح أكثر جدياً من ذي قبل:

- ونحن لم نقل عكس ذلك ولكن أبو فيس خطر وقوي ويتمتع بقوى شر أعطاها له ست خصوصاً ليفسد أي رحلة إلى العالم الآخر ، باستطاعتنا أن نقاتله لو كانت جاجيت معنا ولكنك كما ترى فقد أصابها من الهرم ما لا يجعلها قادرة على القتال مثلما كانت تفعل في الماضي، أليس كذلك يا أفرو؟، ونظرت للتمساح بعد جملتها الأخيرة .
- ومن أخبركما بأنكما ستقاتلانه وحدكما ؟!

هنا تحدث أفرو وظهر بعض الغضب في صوته :

- وهل طلبت معونة أحد غيرنا ، إذن لمَ جئت إلينا ؟
- ومن قال: إنني طلبت معونة أحد غيركم ، فالذي سيساعدكم في القتال هو أنا .

ظهرت علامة التعجب على وجوه الجميع أكثر من ذي قبل وصاحوا بصوت واحدٍ:

- أنت ؟!

رد محمود وظهرت القوة في صوته لأول مرة منذ دخوله الكهف :

- نعَم، أنا ، أنسيتم أني حاكم مصر وحامي أهلها وقائد جيشها ومحبوب آلهتها ومحميّ بالتعاويذ على أيدي أكبر كهنتها ؟ لم نقلل من قدرتك أيها الملك فكما قالت بريتا: إنني لم أصبح قوية كما كنت فثلاثتنا نحتمي ببعضنا البعض وكانت قوتنا لا تقهر ولكن عندما أصابني ما أصابني ونحن هنا داخل الكهف ولم يأتِ إلينا أحد وتعتبر أنت أول زائر لنا منذ عقود كثيرة.
- لا عليك ، والآن هل حسمتم أمركم، أم ما زلتم تفكرون في قوة أبى فيس وما ...

أسرع أفرو مقاطعاً:

- متى سنبدأ ؟

ثم أكملت بريتا على عجل :

- نحن جاهزون، سنأتي معك أنا وأفرو .
- أبو فيس سيكون بانتظاري في البوابة التاسعة ونحن ما زلنا في الثامنة ولا أعتقد أنكم ستسبحون حتى هناك فسيصيبكم الإنهاك والتعب كما لا أظن أن هناك مكاناً في سفينتي يكفي لضخامتكم .
- وما العمل إذن ؟

قالها أفرو متسائلاً:

- سأقوم بتحويلكما إلى شابتي وعندها أستطيع أن أجعلكما معي على السفينة وعندما يظهر أبو فيس سأعيدكما على حالتكما السابقة .

بمجرد أن أنهى كلامه أسرعت بريتا قائلة :

- ومن يضمن لنا أنك ..

وقبل أن تكمل كلمتها قاطعتها صاحبة الصوت العجوز بحزم :

- ملوك مصر نبلاء ومخلصون ولم نسمع من قبل عن ملك فعل أو نوى شيئاً مما دار في ذهنك منذ قليل .

أشار محمود برأسه للأعلى محيياً جاجيت على إطرائها وحسن تفكيرها ثم التفت إلى أفرو وبريتا وقال :

- هل أنتما جاهزان ؟

أشار له الأخيران بالموافقة فاقترب منهما ورفع يديه في محاذاة كتفه وراح يلقي بتعويذة كان قد تعلمها على يد ساحر قوي توسط لأبيه قديماً أن يسمح لذلك الساحر بمقابلته وبعدها أصبح الأخير من أقوى سحرة عصره بعد أن ذاع صيته وعلا شأنه ، وما زال يتذكر تلك التعويذة لأهميتها فكان يرددها في سهولة ويسر وبينما هو كذلك إذ تحركت الأتربة من أسفل قدميه وراحت تتجه ناحية أفرو وبريتا وتكبر شيئاً فشيئاً إلى أن تحولت لإعصار ضخم اختفى الأخيران داخله وعندما انتهى راحت الأتربة تختفي تدريجياً إلى أن زالت تماما وأفرو وبريتا قد أصبحا في حجم ثمرة الموز صامتين لا يحركان ساكنا فالتقطهما ووضعهما في جيبه ثم انطلق خارجاً من الكهف .

كانت السفينة كعادتها تنتظر الملك لتكمل ما بدأته وفور أن صعد محمود على متنها أعطى أوامره فانطلقت متجهه للبوابة التاسعة .

بعد أن جلس على عرشه بوقت قصير أراد أن يداعب ذاكرته قليلاً فأطلق العنان لها وراح يتذكر ويسترجع الأحداث التي مر بها من قبل ، تذكر بحيرة النار وزازا ذلك المسكين الذي ظل يتعذب على أمل أن يأتي من ينقذه مثلما أخبرته الآلهة ثم تذكر الثور الهائج الذي عانى في كيفية ذبحه إلى أن تمكن أخيراً من ذلك ، ثم العذراوات اللاتي جعلنه يعيش في فترة

خيل اليه فيها أنه شهريار ذلك الملك الشهير الذي كان يسمع حكاياته باستمرار في الراديو وأخيرا تذكر حورس ذلك المخلوق العجيب الذي ساعده كثيرا في تلك الرحلة وشعر ناحيته بالامتنان إذ وفر عليه الكثير من الجهد والعناء بالإضافة إلى الوقت؛ فلولاه ربما كان الآن مازال في البوابة السادسة أو السابعة .

لم تكن البوابة التاسعة بحاجة إلى تعاويذ يلقيها الملك لحراسها إذ على عكس كل البوابات والتي كانت تحيط بها الأفاعي منتظرة أي غريب أو روح ضلت طريقها لتمارس معها ما هي موجودة من أجله كانت تلك البوابة خالية من أي أفاعٍ سوى من واحدة فقط تدعى أبا فيس .

ظهرت البوابة التاسعة من بعيد فتقدم ليواجه أكبر خطر مر عليه منذ بدء رحلته والذي ينغص عليه طمأنينته وراحة باله ففي تلك البوابة بالتحديد الخطر الأكبر الذي سيحدد مصير الرحلة سواء ستتوج بالنجاح أو الفشل .

زادت حركة الأمواج أسفل السفينة فأكسبتها شيئاً من الاهتزاز والاضطراب واقتربت وهي على تلك الحالة من البوابة التاسعة التي كانت خاوية من أي ثعابين ثم ما لبث أن ارتفع شيء ضخم من الماء إلى عنان السماء وعندما زال كل الماء من حوله ظهر أبو فيس مصدراً فحيحاً كسر الصمت المخيم على الأجواء مخرجاً لسانه وهو يقطر سماً وأسنانه تلتمع في الظلام مكسبة إياه المزيد من القوة والشراسة بالإضافة إلى الغضب الظاهر في عينيه الحمراوين ثم راح يسبح في الماء متجهاً ناحية السفينة .

علم محمود حينها بأن وقت المعركة قد حان وأن رحلته الآن في مرحلتها الفاصلة فقام بإخراج شابتي أفرو وبريتا وقربهما

من فمه وهو يتمتم ببعض الكلمات بصوت منخفض ثم رماهما في الماء وقفز خلفهما واختفوا جميعاً.
بعد لحظات ظهرت بريتا ثم أفرو ومحمود يمتطيه كالجياد ممسكاً ببعض الحراشف التي تغطي جسده واتجهوا جميعاً ناحية أبى فيس؛ ليجعلوا المعركة في منأى عن السفينة كي لا يصيبها الضرر من جراء ما سيحدث.
كان أول من بدأ الهجوم هو أبو فيس موجهاً أنيابه ناحية بريتا والتي استطاعت أن تراوغه في الماء مبتعدة عن تلك الأنياب ثم استغل أفرو إلهاء بريتا لأبى فيس فانقض عليه بفكه ليطبق عليه بأسنانه الحادة ولكن الأخير تمكن هو الآخر من صد ذلك الهجوم موجهاً ضربة قوية بمؤخرة ذيله إليه والذي غاب بسببها في الماء ومحمود من فوقه.
صرخت بريتا بعدما رأت ما حدث لأفرو فانطلقت بدون وعي ناحية أبى فيس وقد حطم المشهد الذي حدث منذ قليل آخر معاقل الحكمة في عقلها ولكن موازين القوى لم تكن متكافئة فأمسكها بجسده والتف عليها وهو يتلذذ بسماع صوت طقطقة العظام وتعبيرات الألم التي يراها مرسومة على وجهها قائلاً:

- هل تظنني أنكما وهذا الغبي قادرون على إيقافي، أنتم تحلمون لا شك، وراح يعصرها مستمتعاً بالأصوات التي راحت تتزايد أكثر من ذي قبل ، أصبحت مقاومتها تقل تدريجياً بعد كل ضغطة يقوم بها إلى أن تيقن أنها شارفت على الهلاك عندها.

ظهرت السفينة أمام ناظريه فترك بريتا وسبح ناحيتها ليدمرها ويلتهم أفراد طاقمها، وبينما هو يسبح إذ شعر فجأة بفكين يطبقان على مؤخرة ذيله فصرخ كالمجنون ونظر خلفه ليرى مَن فعل هذا

ولكن لون أفرو الأسود قد أكسبه ميزة في هذه الحرب وخاصة أن الظلام هو سيد الموقف الآن إلا من بعض الإضاءة الخافته التي يطلقها القمر رحمة بذلك الكون التعيس .

بعدما التفت خلفه لم يرَ سوى بريتا وهي عائمة على سطح الماء لا تحرك ساكناً وتساءل عن مصدر ذلك الهجوم في نفسه، هل ذلك الغبي جلب معه وحش ثالث ولم يظهره ليكون عنصر المفاجأة في القتال وبينما هو كذلك إذ شعر بالفكين من جديد وهما يطبقان هذه المره على منتصف جسده فالتفت مسرعاً ليجد ذلك التمساح وهو متشبث بجسده غارزاً أسنانه فيه والألم يزداد أكثر من ذي قبل ولكنه دهش عندما لم يجد الملك فوق سطحه ودهشته الكبرى عندما وجد ذلك الأخير قافزاً في الهواء ممسكاً بسيف يلمع نصله في الظلام ثم هوى به على عنقه فقسمه نصفين .

أخذ جسد أبى فيس يرتعش ويهتز بقوة وهو يصارع من أجل البقاء ولكن لا فائدة فالمحرك الرئيسي له قد فصل عنه ولم تمر سوى لحظات حتى هدأ جسده للأبد.

بعد ماحدث لأبى فيس واطمأن محمود أن أمره قد انتهى أسرع يسبح باتجاه بريتا ويتبعه أفرو بجراحه بعد ضربة أبى فيس له والتي لولا حظه وأنها جاءت في ذيله لربما كان الآن مكانه

كان أول من وصل لبريتا هو محمود ثم أسرع وقرب أذنه من فمها فلم يسمع الهواء يدخل أو يخرج منه فحول أذنه لموضع قلبها وراح يتابع باهتمام فسمع نبضات بطيئة يصدرها جسدها فأخبر أفرو أنها ما زالت علي قيد الحياة وطلب منها أن يسرعا لينقلاها إلى أقرب يابسة موجودة بجوارهما فلم يجدا إلا صخرة بالكاد تكفي جسدها فقام أفرو بجرها إلى تلك الصخرة وأسرع محمود باتجاه سفينته وصعد عليها وأشار لطاقمه باتجاه تلك الصخرة .

راح الجميع يجدف في الاتجاه الذي حدده لهم الملك بكل ما أوتوا من قوة وعندما وصلوا إلى هناك أنزل قارباً صغيراً به محمود وطبيبه الخاص واثنان من مساعديه، ومعهم بعض المعدات التي قد يحتاجها الطبيب إذ كان محمود قد شرح له ما حدث وظروف الحاله التي سيواجهها وهم في طريقهم الي الصخرة .

اقترب الطبيب الكهل من بريتا متردداً وهو يرى تمساحاً ضخماً يسبح بالقرب منها ثم نظر إلى محمود فأشار إليه الأخير بإشارة من رأسه مطمئناً إياه ألا يقلق وليفعل ما أخبره به .

فحص الطبيب النبض فوجده ما زال يعمل ولكن حالتها كانت حرجة فأخذ يفحص باقي جسدها ثم قال وهو منهمك في عمله :

- أتدري يا سيدي لو كان لدغها لكان الأمر سهلاً، كنت سأعطيها مضاداً لذلك السم وتتعافي لكن واضح أنه أراد أن يذهب بها لأقصى درجات المعاناة والألم .

وما العمل هل هناك ما يمكنك أن تفعله من أجلها ؟.
قالها محمود قلقاً، فما حدث لها كان هو السبب فيه حتى ولو كان قد دفع لهم مسبقاً من أجل هذا فما يشعر به أن هناك مَن يحتاج المساعده وعليه أن يقدمها له .

- سأحاول أن أصنع لها دواءً يعمل على انبساط أعضائها من جديد فجسدها معصور بشكل كامل.

وراح بمساعدة الشابين اللذين يرافقانه يخلطون بعض العقاقير في بعض ثم وضعها في كأس وأخذ يرجهم لتمتزج جيداً ثم طلب من الشابين أن يتعاونا ويرفعا رأسها قليلاً؛ ليستطيع أن يسقيها إياه وبالفعل توجه الشابان وذهب محمود معهم لتقديم المساعدة وتعاون الثلاثة على رفع رأس بريتا وإن وجدوا

بعض المشقة في ذلك ولكنهم تمكنوا أخيراً رفعها وقام الطبيب بصب الدواء في فمها وعندما انتهى أنزل ثلاثتهم ببطء وحذرٍ، كل هذا وأفرو يراقب ما يحدث بقلق .
انتظروا قليلاً فلم يطرأ على بريتا أي تغيير فنظر محمود للطبيب نظرة فهم الثاني مغزاها فقال على الفور:
الدواء سيأخذ بعض الوقت لكي يعطي مفعوله يا سيدي، يوماً أو يوماً ونصفاً، ولكن اطمئن، ستكون بخير .
رد عليه محمود مستفهماً:

- هل أنت واثق مما تقول؟.
- بالتأكيد ، بالتأكيد يا سيدي، لا تقلق .

هنا تحول محمود إلى أفرو الذي لم ينطق بشيء طوال تلك المدة فكما يبدو أن ما حدث لبريتا قد أخذ كل تفكيره، أفاق من شروده ومحمود يخاطبه:

أشكركم على مساعدتكم لي وأتمني أن أتواجد معكم لأطول فترة ممكنة؛ لأبرهن لكم عن مدى امتناني لِما فعلتموه من أجلي وخلصتموني من أكبر وأخطر الأضرار التي أوجعتني في رحلتي كما أتمنى لبريتا أن تتعافى تماماً وتعود أفضل مما كانت، لا تقلق بشأنها فطبيبي الخاص أخبرني أنها ستتعافى ربما بعد يوم أو أكثر، عليك أن تظل معها؛ لأنها حتماً ستحتاج إليك بعد أن تفيق.
- بالتاكيد، لن أبرح مكاني حتى تفيق، أشكرك أيها الملك على مساعدتك أنت وطبيبك وأتمنى أن توفق فيما تبقى معك في رحلتك.

- هل تريد أن يفحصك طبيبي، يبدو لي أنك لست بخير بعد ضربة أبي فيس لك .

- لا يوجد داعٍ لذلك، فأنا بخير ولم أتضرر كثيراً، المهم الآن هي بريتا، سأنتظر حتى تستيقظ ونعود معاً إلى للكهف .

حيَّاه محمود بودٍّ وذهب للقارب الصغير وتبعه طبيبه والشابان وانطلقوا جميعاً ناحية السفينة، وعندما صعدوا عليها انطلقت لتكمل بدورها.

غاب الطبيب وعاد بعد وقت قليل يحمل في يده كأساً أعطاها لمحمود قائلاً:

- من الواضح أنك استنزفت الكثير من قوتك يا سيدي أثناء معركة أبي فيس، تناول هذا الدواء، سيعيد إليك بعضاً منها.

تناول محمود الكأس شاكراً وشربه على جرعة واحدة، كان له طعم لم يحبه ولكنه شعر بالطاقة تسري في جسده من جديد .

أخيراً تنفس محمود الصعداء بعدما حدث معه في تلك البوابة والابتسامه لا تغادر شفتيه ، ها هو الحلم قد اقترب من نهايته سيصبح غنياً ويلتحق بأشهر أندية كرة القدم وإن لم تكن مصرية فستكون عالمية بالتاكيد، فبالمال يتحقق كل شيء ، مخطئ مَن قال: إن المال لا يشتري السعادة، ففي زماننا هذا يستطيع المال أن يشتري الضمائر والنفوس وأي شيء .

أرسل لطلب زازا فجاءه الأخير مسرعاً ثم طلب منه أن يعزف إحدى مقطوعاته، عرف زازا أن مزاج الملك في أحسن ما يكون، فاختار واحدة من مقطوعاته تتماشى مع السعادة الواضحة على قسمات الملك وراح يعزفها في براعة وجمال، شارك الطاقم الملك في سعادة وكل منهم يؤدي عمله مبتسماً راضياً بما حدث منذ بداية رحلتهم، وأنهم لم

يتعرضوا للمخاطر ولم يفقدوا أحداً منهم وتمنوا أن تسير الرحلة على هذا المنوال.
عاشت السفينة لحظات ليست بالقليلة من السعادة ولم يقطع عليها ذلك سوى اقترابها من البوابة العاشرة.
تقدم محمود وألقى بالتعويذة الخاصة بالبوابة وأكملت السفينة طريقها بسلام.
في منتصف الطريق تحديداً ظهر شبح معبد في وسط الماء توقفت السفينة عنده وترجل منها محمود وطبيبه ومساعداه كان المعبد هو صورة طبق الأصل من معبده الذي كان يخلد ذكراه في الحياة، يشبهه بكل تفاصيله ولكن هذا الموجود في العالم الآخر محتفظ بشكله وألوانه كأنه بُني منذ عدة أيام .

دلف الجميع داخل بوابة المعبد يتقدمهم محمود في هيبة واضحة على خطواته وحركته الآلية يتبعه الثلاثة على مهل، دخلوا الصالة الأولى المزدانة بالرسوم الخاصة بالقرابين والأعياد الملكية التي كانت تقام كل عدة سنوات ، كانت النقوش تمثل الملك المتجسد محمود فيه وهو يقدم القرابين للآلهة تارة ، والآلهة تقوم بطقس تطهيره تارة أخرى ، وعند مدخل الصالة الثانية كان الملك مصوراً وهو يقوم بطقس السماتاوي وهو يشد بيده على رمزي مصر العليا والسفلى مما يعني سيطرته وهيمنته على جنوب مصر وشمالها.

في الصالة الثانية كانت هناك حجرة دخلوها جميعاً وفي منتصفها حجر من الرخام ذو سطح مستوٍ يرتفع عن الأرض بواسطة قواعد حجرية أيضاً، تقدم محمود منه وخلع ملابسه إلا من قطعة من الكتان تغطي جزءه الأسفل واستلقى على ظهره تاركاً الطبيب ومساعداه يقومان بما جاءا من أجله.

انهمك الثلاثة في تنظيف جسد الملك وتضميد جراحه جراء ما قابله أثناء رحلته، كان محمود يحتاج لذلك بالفعل فمعركته الدامية مع الثور وأبي فيس وبقية الأحداث التي مر بها كانت تحتاج فعلاً إلى عملية تنظيف شاملة لجميع أعضاء جسده وخاصة الدماء والخدوش المنتشرة في كل مكان ، قام الطبيب ومساعداه بالتنظيف على أكمل وجه وعندما انتهوا قام محمود وتوجه منفرداً إلى داخل المعبد متجهاً للصالة الثالثة.

بمجرد دخوله كان هناك باستقباله مجموعة من الكهنة يحملون المشاعل في أيديهم وما إن رأوا محمود حتى توجهوا لإحدى الحجرات وهو يتبعهم في صمت.

كانت الحجرة شبيهة إلى حد كبير بالتي كان فيها منذ قليل ولكن تختلف عنها في الحجم وتفوقها جمالاً من حيث الرسوم المنقوشة على جدرانها يتوسطها ذلك الحجر المستوي الذي كان نائماً على شبيهه منذ قليل .

استلقى علي الحجر وترك جسده لهؤلاء الكهنة مثلما فعل في الحجرة السابقة مع طبيبه ومساعديه، التقط أنفه رائحة الزيوت والعطور التي يدهن بها جسده، كانت رائعة بحق والبخور أيضاً أضاف للحجرة المزيد من الروائح الزكية، وبعد أن انتهوا من مسح

جسده بالزيوت والعطور النفيسة جاء أحدهم بملابس ملكية جديدة ألبسوها الملك ومع آخر قطعة ارتداها محمود كانت مهمة أولئك الكهنة قد انتهت وأصبح جاهزاً لما هو مقبل عليه.

خرج من الحجرة متجها إلى خارج المعبد وعند الصالة الثانية كان طبيبه ومساعداه في انتظاره ثم توجهوا جميعاً للسفينة التي ما إن صعدوا عليها حتى انطلقت متجهة للبوابة الحادية عشرة.

ها هي السفينة تقترب من نهاية رحلتها تحمل معها أحلام محمود وأمانيه، تحمل معها العديد من المغامرات والاستكشافات التي تعلمها وستظل محفورة داخله؛ ليرويها لأحفاده عندما يصبح كهلاً عندما يحيط به الأحفاد ليسمعوا حكايات جدهم ومغامراته في الحياة ويتمنى كل منهم أن يصبح مثله مهما كانت بساطة المغامرة التي سيقصها عليهم، سيتخذونه قدوة لهم في طفولتهم إلى أن يكبروا وتصبح لكل منهم شخصيته المستقلة وتتحول قصص جده إلى مجرد خيوط تعلقت في ذاكرته ولن تسقط منها أبداً.

تذكر أنه عند البوابة الحادية عشرة سينفصل عن سفينته وطاقمه إلا من بعض رجاله إذ سيكون الأخيران قد أكملا المهمة الموكلين بها بخدمتهم لملكهم وإرضائه وبذلك يكونون قد أرضوا الآلهة أيضاً ثم تذكر أنه سينفصل عن الرحلة بأكملها ويعود من حيث أتى لعالمه الخالي من أي مغامرات أو مخاطر بروتين يومي المصحوب بالملل ، سيشتاق لتلك الرحلة على الرغم من خطورتها وسيحن للحياة في ثياب الملك على الرغم من قسوتها.

بعد مسافة ليست بالكثيرة من المشي وصلوا إلى قاعة المحاكمة والتي سيحاكم فيها الملك ويمثل أمام اثنين وأربعين من الآلهة لينفي عن شخصه أي خطيئة من خطايا الدنيا التي يسقط الجميع في براثنها.

حراس القاعة واقفون أمامها كالوحوش وقد أكسبوها شيئاً من القدسية والرهبة للروح وإن كانت تلك الأخيرة طاهرة ونقية تقدم محمود ومن معه لداخل القاعة ودخلوها دون أن يعترضهم

أحد .
كانت من الداخل ضخمة بحق والآلهة متراصة على جنباتها ، منهم من يحمل رأس ثعبان أو رأس كبش، توقف الموكب وتقدم محمود بمفره من الإله الأول وركع أمامه وبنبرة يعلوها الخضوع راح يقول :

- إلهي وسيدي قتلت الكثير وأمرت بقتل الأكثر ولكن كل ذلك كان من أجل مصر والدفاع عنها سواء من أعدائها في الخارج أو من خونتها في الداخل ، لم أقتل إلا بالحق ولم أفعل غير الحق .

راح الإله يتابع كلماته ودفاعه عن نفسه ضد أي خطيئة قتل ارتكبها ظلماً أو جوراً، وعندها تأكد من صدق كلامة وقوة حجته أشار له برضاه عنه وحبه له؛ لأنه من الأخيار وسمح له أن يتجه للإله الثاني.
كان ما حدث يعتبر بشارة خير عما ستؤول إليه الأمور في باقي المحاكمة، توجه محمود بعدها للإله الثاني وركع أمامه وقال :
إلهي وسيدي لم أسرق في حياتي شيئاً لا يخصني ولم أنهب ما هو ليس ملكاً لي وما غزوت بلداً واغتنمت منه إلا وزعت الغنائم على شعب مصر، والسارق في عهدي كان يقدم للمحاكمة ولو كان من كبار رجال الدولة ، والأمين كان يعتلي المناصب وإن كان ابناً لأفقر فقراء الدولة، تحلينا بالأخلاق الحميدة فتقدمنا كما لم نتقدم من قبل وحكمنا بالعدل فازدهرت حياتنا كما لم تزدهر من قبل.
راح الإله يتابع كلماته ودفاعه عن نفسه ضد أي سرقة أو سارق أفلت من العقاب في عهده وعندما تأكد من صدق كلامه

وقوة حجته أشار له برضاه عنه وأنه يحبه؛ لأنه من الأخيار وسمح له أن يتجه للإله الذي يليه.

كان كبار طاقم الملك يتابعون سيدهم بفخر واعتزاز وهو يثبت للإله تلو الإله مدى طهارة روحه ونقاء نفسه من الخطايا التي أودت بالكثير ممن سبقوه سواء كانوا سادة أم فقراء.

انتهى محمود من الإله الثاني وتوجه للذي يليه فركع أمامه مثلما فعل مع ممَّن سبقه وقال:

- إلهي وسيدي لم ألوث ماء النيل بل حافظت عليه وعملت على توسيعه وتنقيته من الشوائب وعاقبت كل من سولت له نفسه بإفساد مياهه ، وساعدني على ذلك شعب مصر العظيم فكانوا يحترمون النيل ويقدسونه معتبريه مانحهم الحياة والطمي والتربة الخصبة، كنا نسن أقوى العقوبات على كلّ مَن يعكر صفو مياهه فكان يعطينا كما نعطيه من الاهتمام ويمنحنا كما نمنحه من الحب والتقدير .

راح الإله يتابع كلماته ودفاعه عن نفسه ضد أي جريمة ارتكبها في حق ماء النيل أو التقصير من عقاب ملوثيه وعندما تأكد من صدق كلامه وقوة حجته أشار له برضاه عنه وأنه يحبه لأنه من الأخيار وسمح له أن يتجه للإله الذي يليه.

تنقل محمود بين باقي الآلهة وهو يقول: إنه حافظ على جسده الطاهر ورعا حق بدنه عليه ولم ينظر إلى امراة لا تخصه ولم يظلم الرعية أو يعذب الحيوانات .

أخذت تلك المحاكمة وقت ليس بالقليل منه أنهكه التعب وجف حلقه من كثرة الأقاويل والبراهين التي قدمها للدفاع عن نفسه وعندما انتهى من الآلهة الاثنين وأربعين والذين يمثلون عدداً

أقاليم مصر اتجه للقاعة الثانية عبر باب منزوٍ في تلك القاعة ليكمل آخر مراحل محاكمته .

في القاعة الثانية كان هناك من هو أكثر هيبة وعظمة من كل آلهة القاعة الأولى، كان هناك أوزوريس الإله الأعظم شأناً في العالم السفلي.

كان أوزوريس يرتدي تاج الاتف ممسكاً في يده العصا المعقوفة والصولجان والسوط رمزاً للسلطة وخلفه عن يمينه تقف أخته نفتيس وبجانبها إيزيس على يساره وأمامه يقف أبناء حورس الأربعة " إمستي ، دواموت إف ، قبح سنو إف ، حابي "

كما رأى محمود ومن معه الإله تحوت كاتب الآلهة وإله الحكمة الذي علم المصريين القراءة والكتابة ممسكاً بيديه لوحة للكتابة وقلماً ليسجل نتيجة محاكمة كل شخص .

كانت الأجواء مضطربة في تلك القاعة فيبدو أن هناك من يخضع للمحاكمة أمام أوزوريس وهي عبارة عن عملية وزن للقلب حيث يؤخذ قلب الشخص الماثل أمام الإله ليوضع في كفة الميزان من ناحية والأخرى كانت توضع فيها ريشة الماعت أو كما يسمونها ريشة العدالة ، الجدير بالذكر أن العضو الوحيد الذي لا يخرج من الميت أثناء تحنيطه هو القلب؛ لانه يعتبر مصدر النية والمشاعر .

أخذ أنوبيس ذو وجه ابن آوى قلب الرجل ووضعه في كفة الميزان اليمنى أمام ريشة العدالة والعيون كلها مصوبة للميزان إذ سيتحدد مصير ذلك المسكين بعد ثوانٍ معدودة إن كانت أعماله صالحة في الدنيا ستتعادل الكفتان ويكون قلبه بنفس وزن ريشة العدالة أما إذا كان العكس واتجهت كفة الميزان التي تحمل ريشة العدالة للأعلى وكفة قلبة للأسفل فهذا يعني أن ذلك القلب قد أثقلته الذنوب

والمعاصي، إن كان الشخص طيباً ونقياً من الآثام فسيذهب إلى حقول الأيارو وينعم بالخلود وإن كان غير ذلك فسيمحى هو وقلبه في الحال .

يراقب المنظر خلف الميزان " عمعم " وهو كائن أسطوري ضخم مكون من ثلاثة حيوانات مفترسة التمساح والأسد وفرس النهر، كان هذا الكائن ينغص على المصريين أحلامهم فعندما يقوم أي شخص بشيء مخالف للقوانين وتعاليم الآلهة يزوره عمعم في نومه كأكثر الكوابيس فزعاً التي تفسد منام أعتى الرجال وأقواهم.

راحت كفتا الميزان يرتفعان وينخفضان مرتين أو ثلاثاً ثم أخيراً استقرت كفة القلب للأسفل، عندها صاح فيه أوزوريس غاضباً :

" اذهب عني أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقي أشد أنواع العذاب ، أيتها الأرواح الشريرة اضربوه بالحديد واحرقوه بالنار وأنت أيها الوحش عمعم قطِّعه بأسنانك إرباً إرباً وتغذَّ على أحشائه "

بعد أن نطق أوزوريس جملته الأخيرة انطلق عمعم في وحشية فالتهم القلب من كفة الميزان ثم هجم على ذلك الآثم ومزقه بأسنانه وسط صرخات الرجل إلى أن صمتت تماماً وعمعم يتلذذ بمضغ لحمه حتى أنهاه في ثوانٍ.

تابع محمود ما جرى أمامه مصعوقاً والعرق يسيل من على جبينه وعيناه تنظران في ذهول، فاعتقاده بأن أبا فيس هو أكبر خطر في رحلته؛ فالخطر الأكبر والأعظم ما هو مقبل عليه الآن فلا يوجد هناك من سيساعده أو يقف جانبه إن لم يكن قلبه في مثل وزن ريشة العدالة ، قطع ذهوله صوت الإله تحوت وهو ينادي على اسمه مما يوحي بأن دوره قد حان ليمثل أمام أوزوريس .

ابتلع ريقه وتقدم ناحية أوزوريس وجسده يرتجف ، كم تمنى أن تكون رحلته قد أخذت وقتا أطول من هذا كي لا يأتي لتلك البوابة

كم تمنى أن تكون البوابات عددها عشرون أو أكثر ، كم تمنى أنه لم يخض تلك التجربة من الأساس .

تقدم محمود وهو يخاطب أوزوريس :

- السلام عليك يا سيد الغرب ، إني قادم إليك بدون ذنب عليَّ ، وما كنت أتكلم السوء ولم أخدع أحداً فامنحني سكناً طيباً في حقول الأيارو فلقد أتيت إليك متحلياً بالحق متخلياً عن أي خطيئة فإنني لم أسلك سبل الضالين ولم تضللني الشهوة فتمتد عيني لزوجة غيري ، لم أظلم أحداً ولم أسلك طريق الشر ولم أستولِ على مال غيري ولم أخالف الأوامر الإلهية أنا طاهر ، أنا طاهر ، أنا طاهر.

رد عليه أوزوريس بكلمات مقتضبة أربكت محمود أكثر مما طمأنته :

- سنرى هل صدقت أم أنك من الكاذبين؟.

اقترب أنوبيس من محمود وفي يده خنجرٌ وبمهارة يحسده عليها أي طبيب أخرج قلب محمود في ثوانٍ لم يشعر فيها الأخير بأي ألم ولم تخرج من جسده أي دماء ، ثم وضع قلبه في كفة الميزان الفارغة وراحت الكفتان تتراقصان وأعصاب محمود تشاركهما نفس الإيقاع ، وعمعم يتابع ما يجري منتظراً ميعاد وليمته التالية وأخيراً استقرت الكفتان على نفس المستوى مما يوحي بأن قلب الملك في نفس وزن ريشة الماعت.

جبالٌ من الهموم والمخاوف تساقطت من فوق كاهل محمود وشيئاً فشيئاً هدأت أنفاسه المتساعه وصاح أوزوريس :
" لتخرج فائزاً من قاعة العدل ولتذهب حيثما تشاء ، افتحوا له أبواب السماء ولتزفه جميع الآلهة إليها ولا يتعرض له حراس السماء وليُعطَ ثياباً من الكتان الجيد وليُرَدّ له قلبه وتوهب له حياة جديدة وليجلس في الفردوس السماوي "
أمسك أنوبيس بالقلب ووضعه داخل جسد محمود بنفس البراعة التي أظهرها منذ قليل فأصبح كما كان وكأنه لم يغادر موضعه .
سعد محمود بعد ذلك أيما سعادة لقد انتهت مهمته ولم يتبقَّ أمامه شيءٌ يذكر واتجه خارجاً من القاعة وكبار طاقمه فخورون به كل الفخر ، وقبل أن يخرج توقف ثم عاد أدراجه ناحية أوزوريس وسط تعجب طاقمه وكل من في القاعة، وعندما أصبح أمام أوزوريس تماماً ركع أمامه وقال:

- إلهي وسيدي، لقد أرسل معي حورس العظيم برسالة وأمرني أن أوصلها إليك .

أشار له أوزوريس بإيماءة من رأسه أن هات ما عندك ، قص محمود ما أخبره به حورس ولم ينس كلمة واحدة وسط تعجب كل الحضور والدهشة واضحة جلية على قسماتهم بعكس أوزوريس الذي لم تتغير قسماته أو يظهر عليها شيء يذكر .
بعد أن انتهي من سرد الرسالة شكره أوزوريس متمنياً له أوقاتاً سعيدة في حقول الأيارو والتي تعتبر حلم كل مصري حيث ينبت فيها القمح والأشياء الطيبة وتجري فيها الأنهار التي تروي الأرض ، فعندما يصل إليها لا يكون مضطراً

للاشتغال بالحرث والحصاد بل يتمتع بالأكل والشرب والنوم والجلوس في ظل الأشجار .

خرج محمود ومن معه من كبار طاقمه بعد أنهى البوابة الحادية عشرة على أكمل وجه متجهاً بمفرده للبوابة الأخيرة التي سيتحد فيها مع رع، وعند نقطة الافتراق بينه وبين طاقمه توقف قليلاً ونظر إليهم موجهاً حديثه للجميع:

- بعد أن أذهب للبوابة الأخيرة أريد منكم أن تجعلوا الحارس الأوزيري يتخلى عن حماية مقبرتي واتركوها هكذا بدون حماية .

نظروا جميعاً لبعضهم البعض غير مصدقين كلام ملكهم ، كيف يريد أن يترك مقبرته هكذا بدون أي حماية وخاصة أنها تعج بالكثير من القطع الذهبية النفيسة المنتقاة بعناية لتوضَع بجواره، أخيراً تجرأ واحدٌ منهم وهو كبير الحرس الشخصي للملك وقال:

- ولكن كيف يا سيدي؟، ستكون مقبرتك عرضة لسارقي القبور وهي المزينة بكل ما غلا ثمنه وأتقن صنعه .

رد عليه محمود ونبرة الغضب تعتليه :

أتظن أني ساذج إلى هذه الدرجة لأترك مقبرتي بكل ما تحويه هكذا بدون حماية ، قطعاً لا ولكني تمكنت من طريقة أخرى أقوى وأضمن من تلك التي نستعملها ووجود ذلك الحارس سيفسدها بلا شك ، كان محمود يحاول التمثيل بكل ما أوتي من جهد ليخرج كلامه صادقاً فهو يعلم أنه يكذب وكل ما قام به أثناء رحلته هو من أجل تلك اللحظة التي يأمر فيها طاقمه بإنهاء عقد الحارس الأوزيري ليتمكن الشيخ عبد المتجلي من دخول المقبرة بدون أي مخاطر ثم أكمل كلامه:

افعلوا ما أمرتكم به فأنا أعرف ماذا أفعل وأشكركم على مرافقتكم لي وأتمنى لكم الخلود في حقول الأيارو .

- أمرك سيدي ، ونحن أيضاً سعدنا بمرافقتك ونتمنى أن نكون بجانبك في الحياة الأخرى كما كنا في الحياة الدنيا .

أومأ محمود برأسه مبتسماً لهم ثم أكمل طريقه هذه المرة بدونهم ونظراتهم تتبعه إلى أن اختفى تماماً.

انتهي كل شيء بالنسبة للملك ولم يتبقَّ لكبار طاقمه سوى أن عادوا أدراجهم للسفينه ليجلبوا الطاقم بأكمله كي يحاكم أمام أوزوريس بعد أن ضمن لهم ملكهم أن تمر محاكمتهم بسلام فطالما هو من الأخيار واستطاع أن يلوذ بالأيارو سيكون طاقمه مثله فهم مرافقوه في الدنيا ولو كان بداخل أحدهم شرٌّ لكان قد نبذ ولم يأخذ شرف التواجد مع الملك في رحلته المقدسة .

استيقظ محمود فوجد نفسه ملقى بجوار الشيخ عبد المتجلي وعلامات الفرح واضحة على الأخير وقبل أن يتحدث محمود ليطلب بعض الماء وجد الشيخ يمد يده إليه بكوب من الماء والذي شربه على دفعة واحدة إذ كان يشعر بأن حلقه جاف كالصحراء .

- طعام ، أريد بعض الطعام .

قالها محمود وهو منهك القوى ولا يقدر على الحركة فأسنده الشيخ وأجلسه مستنداً إلى الحائط ووضع الطعام أمامه ومحمود يأكل بنهم والشيخ يتابعه بنظراته وهو يخاطب نفسه تمكن ذلك الصغير من خوض أصعب التجارب والفوز على أقوى الوحوش وبينما هو كذلك إذ قال محمود:

- لقد تم كل شيء على أكمل وجه وفعلت كل ما أخبرتني به ، والآن هل هذا الحارس ما زال موجوداً أم أنه غادر ؟

لقد أخبرت أنه غادر قبل أن تفيق بدقائق قليلة ولم أفعل أي شيء منذ ذلك الحين حتى أطمئن عليك قبل كل شيء .
رد محمود وهو مازال يأكل :
لا أعرف هل سأحصل في حياتي على فرصة مماثلة كهذه أم لا؟، لقد تعلمت الكثير ورأيت ما لم يخطر على بال أحد.
أجدادنا هؤلاء كانوا عظماء بحق ويستحقون كل كلمة تقال عنهم بل إننا لم نعطهم حقهم من الثناء والإطراء .

- بالطبع يا بني لا يختلف أحد على ذلك وخاصة من درس تلك الحضارة يعرف قيمتها أكثر مني ومنك على الرغم من كل ما رأيته ، فهناك من يكرس حياته كلها للدراسة والمعرفة والتنقيب وإن كان سيصل في النهاية لفتح مقبرة واحدة أو حتى ينال شرف تسجيلها .
- ولكن لماذا وصلوا لتلك الدرجة من العظمة؟ ، ما هو سرهم الذي جعلهم يصلون إلى كل هذا ؟

ابتسم الشيخ وقال :

- أظن أنك خير من يعلم الإجابة على هذا السؤال وخاصة أنه لم يمر وقت كثير على وقوفك أمام أوزوريس وباقي الآلهة .
- نعم بالطبع ، يبدو أن الصفات الحميدة والإخلاص في العمل بالإضافة لقوة الإيمان كافٍ جداً لصنع حضارة عظيمة كحضارة أجدادنا .

هناك شيء يحيرني وأود أن أسألك عنه ، ولم يدع لمحمود فرصة للرد وأكمل :

- في البوابة الخاصة بالعذراوات لماذا توقفت عند حجرة الفتاة الثالثة لبعض الوقت؟، هل شعرت بشيء ما أو فقدت السيطرة على الجسد مثلاً ؟.

عاد محمود بذاكرته للوراء قليلاً فتذكر قصد الشيخ من السؤال فأجاب:

- لا لم أفقد السيطرة على الجسد ولكن توقفت قليلاً؛ لأفكر هل ما أقوم به صحيح أم لا؟، وهل سيكون هناك إثمٌ عليَّ فيما أفعله وخاصة أنني ... ثم برقت عيناه وكأن شيئاً لدغه فأسرع يقول :
- وما أدراك بهذا؟ ، ونسي أمر جوعه والطعام الموضوع أمامه وتابع الشيخ باندهاش وهو يقول :
- وهل تظن أنك كنت في تلك الرحلة بمفردك؟، لقد كنت معك في معظم البوابات لأتدارك أي خطأ قد ترتكبه ولكنك في الحقيقة أثرت إعجابي منذ البدية وأدركت أنك ستتخطى كل الصعاب ولكن لم يكن هناك بدٌّ من الاستمرار فيما أفعله .

صعق محمود بعد كلام الشيخ إذ ظن طوال رحلته أنه هو سيدها والوحيد المتحكم في أحداثها على الرغم من أن كل شيء كان يحدث بأوامره ولا يوجد ما يوحي بأنّ هناك أحداً غيره ممسكاً بزمام الأمور وقال بصوت مخنوق:

- لماذا لم تخبرني بهذا من البداية؟، كنت على الأقل سأكون مطمئناً بعض الشيء ؟
- أجاب الشيخ وكأنه يعلم أنه سيتلقى ذلك السؤال بعد معرفة محمود للحقيقة فقا:

- لكي لا تكون مطمئناً مثلما ذكرت وتتحمل مسؤولية نجاح الرحلة أو فشلها بالتأكيد ذلك سيزيد من خوفك وحرصك واتخاذ القرارات الصائبة بعد طول تفكير ولكن اطمئن فدوري

في رحلتك كان دور المشاهد فقط، لم أفعل شيئاً أو أتدخل في الأمور وتركتك أنت لتكون سيد المواقف ولكن كما أخبرتك كنت معك للضروة فقط .

تمنى محمود ألا يكون الشيخ قد أخبره بذلك فقد أفسد عليه متعته ولكن طالما أن الاخير لم يتدخل في شيء فسيعتبر أنه لم يسمع تلك الكلمات الأخيرة وكأن شيئاً لم يحدث ثم قال:

- والان ماذا سنفعل؟ هل حان موعد دخولنا ؟

والتمعت عيناه في نشوة طفل صغير أخبره والده للتو بأنه سيصطحبه لإحدى الأماكن التي يحبها .

- نعم سنذهب الآن .

وأخذ يهمس بصوت منخفض لا يسمعه محمود وبعد عدة ثوانٍ قال: هيا كل شيءٍ أصبح جاهزاً .

أخرج الشيخ عبد المتجلي بعض المعدات الخاصة بالحفر وراح يحفر في أحد أركان الحجرة ومحمود يساعده على إبعاد التراب الناتج من الحفر كي يسهل عليه التعمق أكثر وأكثر في الأرض، والشيخ بحفر بهمة ونشاط شاب فما ينتظره بالأسفل لم يرَ مثيلاً له طوال أعوامه العديدة في تلك المهنة بالإضافة أنه سيغير مجرى حياته .

بعد متر أو ربما أكثر بقليل ظهرت أمامه قطعة حجرية عليها بعض النقوش فعلم أنها إحدى جدران المقبرة، التقط شاكوش وإزميل وأخذ يكسر في الحائط حتى استطاع بعد وقت ليس بالقصير أن يصنع فجوة بالكاد تكفي لعبور شخص واحد .

خرج من الحفرة وأخذ يبحث في حقيبته حتى أخرج مصباحاً كهربائياً قديماً بعض الشيء وكمامتين ارتدى واحدة ورمى بالأخرى لمحمود الذي التقطها هو الآخر وارتداها مثلما رأى

الشيخ يفعل ثم عاد مرة أخرى ودخل الفتحة التي كان صنعها للتو ومحمود خلفه .
كشف المصباح العديد من معالم المقبرة على الرغم من صغر حجمه وكانت الدهشة هذه المرة تلازم الشيخ لأنها أدركت محمود من قبل ، تجول الاثنان داخلها والقطع الأثرية متراصة بانتظام مثلما تركوها من آلاف السنين تتفاوت في الضخامة والصغر بالإضافة لدقة الصناعة واللون الأصفر هو سيد الألوان في تلك المقبرة .
تخلص الشيخ من دهشته ليستطيع التحدث وقال :

- هذا الاكتشاف لا يقل أهمية عن اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون .

تساءل محمود في تردد :

- من توت عنخ آمون هذا؟ .

حاول الشيخ أن ينتقي أكثر الإجابات بساطة ليستوعبها عقل ذلك الصغير :

- إنه أحد ملوك مصر القديمة وتكمن شهرته في اكتشاف مقبرته كاملة بدون أي سرقة حيث وجد فيها آلاف من القطع الذهبية على الرغم من أنه لم يحكم مصر سوى ثماني سنوات فقط .
- آلاف القطع الذهبية وهو لم يحكم سوى ثماني سنوات فقط فكيف هي مقبرة من حكم عشرات السنوات أم أن الفترة التي حكم فيها هذا الملك تمتاز بالرخاء ؟

تنهد الشيخ عبد المتجلي وهو يقول بحسرة :

- من حكموا عشرات السنوات لم توجد في مقابرهم مثلما وجد في مقبرة توت عنخ آمون فالكل قد أصابته السرقة منذ عهد المصريين القدماء أنفسهم إلى الآن ، أما بالنسبة لعهد توت عنخ آمون فلم يكن أفضل من عهود الملوك التي وجدت مقابرة خالية.

صمت محمود بعد كلمات الشيخ وتركه يكمل جولته وتفقده للقطع الأثرية وبعد قليل غلبه الفضول وقرر أن يكون هذا هو السؤال الأخير :

- هل عرفت اسم صاحب المقبرة ؟

تفاجأ الشيخ من أسئلة الصبي التي ظهر فيها اهتمامه بالتاريخ فقد كان يتوقع أن سؤاله التالي سيكون عن ثمن ذلك الكنز الموجود أمامهم .

- أعرف القليل من الكلمات الهيروغليفية وحاولت أن أقرأ اسم صاحبها ولكن لم أستطع، على كل حال لا يهمنا الاسم، ما يهمنا الآن هو الكنز، هيا احمل معي بعض القطع الذهبية وتعال لنخرج لوالدك وعمك لنبشرهما.

حمل كل منهم ما تستطيع يداه أن تحملا، وخرجا من المقبرة ثم الحجرة التي بنيت حديثاً ، لم يكن بانتظارهم سوى والد محمود وعلامات الإرهاق واضحة على عينه التي يبدو منها أن النوم قد جفاها وما إن رأى ابنه حتى هجم عليه وهو يحتضنه غير آبهٍ بالقطعة الذهبية التي سقطت بجوار قدمه وهو يتفحص ابنه كي يتأكد أنه بخير ولا يوجد مكروه أصابه .

كان أول من تحدث هو الشيخ عبد المتجلي فقال بنبرة مطمئنة:

- لا تقلق ، ابنك عاد إليك أفضل مما كان، أليس كذلك يا محمود ؟

أومأ محمود برأسه موافقاً على كلام الشيخ وهو يبتسم والأب يتابعهما بنظراته ثم احتضن محمود مرة أخرى.

جاء عباس يهرول من الداخل وهو يقول :

- حمداً لله على سلامتكما، أتيتما باكراً ولم تكملا الليلة الثانية

ثم احتضن ابن اخيه بلهفة فقال الشيخ عبد المتجلي :

بالتوفيق .. هذه الأمور تعتمد على التوفيق .

دعاهم والد محمود للمندرة ليكملوا حديثهم هناك وليتفقوا على أتعاب الشيخ وخلافه من الأمور الهامة

بادر عباس بالحديث وقال :

- هل المقبرة كبيرة أم صغيرة؟، وهل أحصيتم قطعها ؟

هم الشيخ ليتحدث فأسرع محمود يقول ضاحكاً :

- لا يا عم، لم نحصِ قطعها؛ لأنها كثيرة جداً والمقبرة ضخمة أيضا وجئنا نزف اليكم الخبر لتشاركونا بهجتنا .

هنا قال والد محمود للشيخ :

- طلباتك يا شيخ عبد المتجلي ؟

- لن أكون طماعاً وأيضاً لن أنسى دور محمود المهم فيما فعلناه سوياً، سآخذ الربع والباقي لكم .

نظر خليل لابنه ليستشيره ولو بإيماءة من رأسه سواء بالموافقة او الاعتراض على ما قاله الشيخ وهل يستحق ذلك الأجر فعلاً؟، فوجده منكس الرأس سابحاً في أفكاره وكأنه يجلس بمفرده فتعجب من أمره إذ لا يوجد ما هو أهم مما هم فيه الآن ليفكر فيه، تنحنح ليلفت نظره ويخرجه من أفكاره التي يسبح فيها فلم يجب واستمر على هيئته تلك ، لم يجد خليل مفراً من أن ينادي عليه فهتف باسمه برفق لينتبه

ويشاركهم المجلس بكامل وعيه إذ وصلوا إلى أهم شيء في موضوعهم هذا .
بعد أن نطق الشيخ جملته الأخيرة وخاصه الكمية التي يطلبها أجراً له على ما فعل انتابت محمود قشعريرة مجلجلة في جسده وذهب به عقله إلى الخلف ربما رغماً عنه أو بسبب عاطفته كتفسير آخر ، فكر في المصريين القدماء وحرصهم على مقابرهم ضد السرقات والمحاولات التي أبدوها على مر القرون للحفاظ عليها بعيداً عن أيدي اللصوص، أيضا فكر في العمال الذين كانوا يعملون ليل نهار في حفر المقبرة ومن ثم نقشها والتحف الذهبية المنتقاة بعناية لتكون مع الميت في العالم الآخر عالم الخلود ومدى جودتها وغيرها الكثير من الأفكار التي تتسارع داخله كمنظومة رقمية معقدة وعقله الذي يصرخ فيه غاضباً بألا تفعل ، قطع كل هذا صوت والده وهو يهتف باسمه فعاد من تلك الرحلة من الاستغاثات التي سببها له عقله ، رحلة ربما تكون أكثر قدسية من رحلته المقدسة التي أنهاها منذ قليل.
- ما بك يا عزيزي؟، وفيمَ كنت تفكر؟
قالها محاولاً استحضار ذهنه والاستعانة به في طلب الشيخ من ناحية ومن ناحية أخرى أن يعطي لنفسه متسعاً من الوقت للنظر في ذلك الطلب إذ لم يستطع محمود إعانته .
اختفت نبرة السعادة التي كان يتحدث بها محمود منذ وقت قليل وقال موجهاً حديثه للجميع مع أنه مازال مطرقاً ناظراً لأسفل قدميه :

- لن نبيع شيئاً .

حملقت فيه العيون بين دهشة وحيرة وعينا الشيخ كانتا الأقرب للصواب إذ فهم ما يدور في عقله وما يريد أن يرمي إليه ذلك الغلام ولكنه لم يكن أول من علق على تلك الجملة إذ كان عمه عباس أول من أطلق سهام الغضب وقبل أول سهم أكمل محمود حديثه ووجه كلماته للشيخ عبد المتجلي وأردف :

- يمكنك أن تأخذ تلك القطع التي خرجنا بها أظن أن ثمنها يفوق أي قطع بعتها من قبل ولكن باقي الآثار الموجودة لن يقربها أحد وسنبلغ الشرطة ونخبرها عما حدث بطريقة لا تدين أحداً منا .

زادت كلماته غضب عمه علي غضب فانفجر صارخاً :

- ما الذي تهذي به؟، هل أنت في كامل وعيك؟ ، بعد أن فتحت لنا أبواب الجنان تريد أن تغلقها أنت في لمح البصر لطالما حلمت

بأن أخرج من مستنقع الفقر وإن لم أقصد المعني الدقيق للوصف وعندما تحين الفرصة تريد أن تهدرها أنت ... انت ؟

ثم نظر للشيخ عبد المتجلي والشرر يتطاير من عينيه :

- ماذا فعلت بابن أخي؟ هل سحرته أم مسه جن من الذين يلازمونك أيها المحتال ؟

لم يرد الشيخ عبد المتجلي على كلمات الرجل و تلك الإهانة التي وجهها له إذ كان ما قاله محمود ما زال يعصف ببروج عقله ويبدو أيضا أن والد محمود قد أصابته العدوى هو الآخر وراح يفكر فيما قاله ابنه مستنكراً قوله فهو بحاجة للمزيد من الإقناع ليطرد فكرة بيع الآثار من عقله.

استعد محمود وحاول جاهداً أن يرتب أفكاره ليقنع الجميع بالعدول عن البيع ورأى أن عليه البدء بعمه ثم ما شاء الله أن يكون من بعد إذ أفلح في إقناعه، اكتسب صوته بعضاً من الرجاء وهو يقول لعمه :

- صدقني يا عمي لو رأيت ما رأيت لكنت أول الموافقين ، لو شاهدت العظمة التي كانت فيها مصر قبل الآف السنين لعزَّ

عليك أن تبيع ولو تراباً من ترابها فما بالك بكنز من كنوزها من سيشتري منا تلك الآثار لن يشتري ذهباً فقط بل سيشتري التاريخ أيضاً ولا أظن أن للتاريخ ثمناً ومهما غلا فسيكون بخساً وهذا الكنز ليس لي أو لك، إنه حق الجميع .

- جميع ! أي جميع تحدث عنهم ؟ هل الجميع الذين وجدوا الآثار وباعوها أم الجميع الذين مازالوا يبحثون عنها لبيعها في أول فرصة تتاح لهم؟، الدنيا سباق يا ابن أخي وأنت مازلت صغيراً لكي تفهم كلامي هذا، دع عنك تلك الهواجس التي تراودك فعلى ما يبدو أنك رأيت الكثير ويعز عليك أن تفقد كل هذا الكنز ، سنترك لك قطعة أو اكثر لتراها وقتما تشاء وتتغزل في صناعتها ولكن دعنا نتحدث الآن في المفيد.

قالها محاولاً ردع محمود وطرد الأفكار التي تعكر صفو أحلامه ولكنه فشل، أشهر محمود سلاحه الأخير وربما الأقوى في تلك المعركة الأولى تلك :

هل تذكر صديقك الجندي المقاتل محمد سميح عبد الخالق زكي ذلك الاسم الذي كنت دائماً تتغني به عندما تجمعني وأولادك وتقص علينا ذكرياتك من حرب أكتوبر، كررت علينا قصص بطولاته مرات عدة ربما متناسياً أو متفاخراً لا

أدري ، وما فعله ذلك البطل في تلك الحرب التي كنت بجانبه فيها والميتة العظيمة التي نالها ليفديك أنت وباقي أصدقائه بنفسه ، صديقك ياعم مات وهو يدافع عن مصر الوطن وها قد جاء دورك أنت لتدافع عن مصر التاريخ وتروي قصة بطولتك لأحفادك بجانب قصة صديقك الشهيد .

تاه عباس في غيابات ذكرياته بعد أن فتح محمود جرحاً قد التأم بمرور الزمن ولم يرد على ما وجه إليه من كلمات فأطرق رأسه ولاذ بالصمت .
تهللت أسارير محمود بعد أن نجح في معركته الأولى ثم أقبل على المعركة التي يظن أنها الأقوى وأجل أمر والده للنهاية ، حول جسده ناحية الشيخ عبد المتجلي وقد أكسبته ثقته بنفسه عمراً على عمره فقال:
- ما رأيك فيما عرضته عليك؟ ، أعتقد أنك ستكون الفائز الوحيد في تلك الليلة فنحن لن نربح مالاً كالذي ستربحه عندما تبيع تلك القطع ، وأشار للقطع الخمسة التي أخرجاها من المقبرة .
صمت الشيخ عبد المتجلي بعد الكلمات الأخيرة التي وجهت ثم قال :

- أتعلم ، يمكنني أن أحول ذلك الكنز من مكاني هذا إلى حجارة مشابهة له وأنقل الذهب إلي أي مكان أريده وأخرجه فيما بعد بطريقتي .

قاطعه محمود قبل أن يكمل وقال بود:

- لا أعتقد أنك تريد هذا ، أنت عاشق للآثار والتاريخ

المصري رأيت هذا في عينيك وأنت تحدثني عنهم فقد كانت تلتمعان في زهو وفخر وكأنمها تريدان أن تقول: أنا سليلة صناع أعظم حضارة وجدت على كوكب الأرض .

لم تؤثر كلمات محمود في الشيخ فاراد أن يوضح بعض الأمور التي ربما لا يفهمها :

- هل تعلم أنك إن أخبرت الشرطة ومر الأمر كما تقول مرور الكرام بدون أن يحدث أي مكروه لأحد فينا فماذا سيحدث بمقتنيات المقبرة ؟

ظهرت علامات البلاهة على وجهه فأسرع محاولاً إخفاءها وتصنع التفكير ثم أجاب:

- بالتأكيد سيكون فيه إفادة للبلد .

ابتسم الشيخ عبد المتجلي من جانب فمه وقال ساخراً:

- صحيح ستكون إفادة ولكن بلا إفادة ، الإفادة الأولى أنها ستحفظ في مصر ولن تهرب خارجاً منها كما هو الحال إن تم بيعها وستكون بلا إفادة؛ لأنه لن يراها أحد فسيتم نقلها للمتحف المصري بعد معاينتها وإرجاعها إلى العصر الخاص بها وتسجيلها ، المتحف المصري الذي بالكاد يتسع للآثار الموجودة فيها ، كما يحوي مخازن للآثار التي لم تحظَ بفرصة للظهور أمام العامة وسيكون هذا مصير هذه المقبرة .

تدخل خليل في الحوار مخاطباً الشيخ عبد المتجلي :

- وما المانع إن أفسح المجال للاكتشافات الحديثة مثلاً لتسود المتحف ويوضع ما هو قديم في المخازن .

- ليس الأمر بتلك السهولة ، بيع الآثار ليراها الجميع أفضل من إيداعها المخازن ففي الخارج ستكون بمثابة دعاية للآثار الموجودة في مصر، ورُبَّ ضارة نافعة .

كان كلام الشيخ عبد المتجلي منطقياً لأبعد الحدود وظهر فيه اهتمامه بالآثار أكثر من المال وأصاب أوتاراً حساسة داخل النفوس المحيطة به وساد الصمت المكان وكأن الجميع يرتب أفكاره ويراجع حساباته من جديد، قطع محمود ذلك الصمت متسائلاً:

- أتذكر أنك أخبرتي سابقاً بأن هذه المقبرة وآثارها تشبه مقبرة عظيمة لشخص يدعى، وصمت محاولاً تذكر الاسم وعندما استغرق وقتا كثيرا قال الشيخ عبد المتجلي تقصد توت عنخ آمون ، أسرع محمود قائلاً: نعَم، أظن هذا ثم أكمل ، هل مقتنيات مقبرته معروضة في المتحف المصري أم موجودة في المخازن كغيرها من الآثار كما تقول ؟

اجاب الشيخ وقد فهم ما يرمي إليه محمود :

- معروضة في المتحف ولها قسم خاص بها أيضا .

- إذن ستكون هذه مثلها وستنال نفس قدرها، أنا آمل ذلك ولن يفوت المسؤولون تلك الفرصة .

عاد الصمت يخيم على المكان مرة أخرى ولكن تلك المرة كان قرار الشيخ هو المنتظر وقال بعد طول تفكير:

- لن آخذ شيئاً ولكن لديَّ شرط ، ثم أكمل دون أن يسأله أحد عن ماهية ذلك الشرط ، أريد أن يكون لي نصيب من شرف اكتشاف تلك المقبرة وسنتفق جميعاً أنها كانت على سبيل المصادفة ونؤلف أي قصة نقنع بها المسؤولين بما حدث أنا يكفيني ما وجدت من قبل والثروة التي لديَّ، في الحقيقة أنا

بحاجة لبعض الشهرة ليمحو التاريخ جرائمي السابقة .
ابتهج محمود بعد نجاحه في المعركة الثانية على الرغم من كلمات الشيخ عبد المتجلي إذ ظن أنها ستكون الأصعب وخاب ظنه تلك المرة وها هو أهم عمل في حياته شارف على الانتهاء بما كان يحب ويأمل ولم يتبقَّ لديه سوى والده الذي شعر بأن دوره قد حان فبادر بالحديث:
- اعلم أني كنت أشك في أمر ذلك المال من البداية وطالما نازعتني فيه نفسي طوال الليلتين اللتنين قضيتماها أنت والشيخ عبد المتجلي داخل تلك الحجرة ولكني لم أجد مفراً من الحاح عمك فانسقت معه . ولا يهمني أن أصبح غنياً ولا الكنز الذي بحوزتنا الآن كما يهمني أمرك أنت، فأنت الآن هو كنزي وسندي ويكفيني أن تلك التجربة غيرتك للأفضل كما يبدو .
انتهت المعركة الثالثة قبل ولادتها فداعب محمود والده كاشفاً عن أمر طالما فكر فيه إلى ان اهتدى أخيراً ورأى أن الفرصة سانحة لذلك فقال:
- اعلم يا أبت أني لا أريد أن أصبح لاعب كرة قدم، حملق فيه الجميع مرة أخرى فيبدو أن تلك الليلة لن تخلو من المفاجآت ثم أردف، سأصبح أثرياً.

في صبيحة اليوم التالي اتصل خليل بالشرطة وأبلغها بوجود مقبرة أسفل منزله قد وجدوها صدفة وطلب منهم سرعة التوجه لمنزله بعد أن أملاهم العنوان ثم أغلق الهاتف ناظراً لمحمود الجالس بجوار والابتسامة لا تفارق شفتيه وهو يخاطبه :
- من الجيد أننا هدمنا تلك الحجرة فلو نسيناها فلربما أصبحت مصدر شكٍّ لما هو قادم .

ابتسم محمود لأبيه وهو يقول بفخر:

- أنا من ذكركم بهذا ولكن تأخر عمي والشيخ عبد المتجلي كثيراً، ألم تخبرهما بأنك ستستدعي الشرطة في الصباح الباكر ؟

- بلى أخبرتهما ، لا أدري لماذا أصر عمك أن ياخذ الشيخ ليبيت في منزله ولم يبيتا هذه الليلة معنا هنا .
مط محمود شفتيه ولاذ بالصمت ، بعد دقائق كان عباس والشيخ عبد المتجلي يدلفان داخل المندرة وقد هذب الشيخ لحيته فبعد أن كانت تصل إلى منتصف صدره ها هي الآن لا تتعدى سنتيمترات خارج ذقنه . وبعد أن وجد عباس نظرات أخيه ومحمود مصوبة نحو الشيخ قال مازحاً:

- هل ظننتما أني كنت سأتركه بذقنه حتى تأتي الشرطة ، بالتاكيد كنا سنذهب خلف الشمس من قبل حتى أن يشاهدوا المقبرة، ضحك الجميع بما فيهم الشيخ نفسه من دعابته حتى مالوا للوراء وبينما هم كذلك قطعت ضحكاتهم أصوات محركات سيارات تتوقف خارج البيت
أربعة سيارات محملة بالجنود ما إن توقفت حتى اصطف الجنود على جانبي البيت كتحذير للأهالي بممنوع الاقتراب في تلك اللحظة كان خليل وعباس قد خرجا ليجدا ثلاثة رجال تعلوهم الهيبة والزهو ، تقدم أحدهم وكان ممتلئاً بعض الشيء قد غزا الصلع مقدمة رأسه مصافحاً عباس وهو يقول معرفاً نفسه :
- مقدم فتحي بركات ثم أشار بجانبه لشاب ممشوق القوام أشقر الشعر تبدو علامات الرفاهية على قسمات وجهه وقال ملازم أول حلمي حاتم ثم أخيراً أشار للشخص الواقف بجانبهم

ذي الشعر الأبيض يضع عوينات دقيقة والعلم يشع من عينيه وقال دكتور شكري أحمد السيد أستاذ دكتور في علم المصريات ، رحب بهم عباس وخليل ثم دعواهما للدخول وهناك راح والد محمود يقص عليهم كيف أنهم أرادوا تركيب " طرمبة ماء " للاعتماد عليها عندما تتعرض القرية لانقطاع الماء المفاجئ ، ثم قاموا بتأجير عامل وهو يشير للشيخ عبد المتجلي الجالس بجوارهم ، وكان ابني محمود يساعده في ذلك حتى عاق طريقهما جداراً صخرياً تعاونا على هدم جزء منه بعد معاناة ليعرفا ماهيته ، وعندما تم لهما ذلك كانت المفاجأة فقد وجدا مقبرة تحوي العديد من القطع الذهبية ولم نجد بداً من إخباركم لتقوموا باللازم .

حر الصيف يلفح الجميع وزجاجات المياه الغازية متناثرة هنا وهناك بالإضافه للكثير من فتات اللب وقطع المناديل المهترئة وحركة القطار العنيفة من وقت لآخر تفزع النائم وتضجر المستيقظ وصوت بائع الجرائد وهو ينادي أخبار أهرام المصري اليوم حوادث ، استوقفه شاب أراد أن يجد في الجريدة ملاذاً لما يحيط به من حوله ووسيلة لقتل الوقت حتى يصل إلى جهته المطلوبة أعطى البائع بعض الجنيهات والتقط جريدة وراح يقلبها في يده ، في الصفحة الأولي باللون الأحمر العريض قرأ، الحظ يبتسم لغلام ورجل مسن حيث يكتشفان مقبرة ذات شأن بالمصادفة ، كان العنوان كفيلاً بان يجعل الشاب يقلب أوراق الجريدة مسرعاً ليصل للصفحة التي تحوي تفاصيل أكثر عن الخبر وعندما وصلت عيناه لوجهتها أكمل القراءة :
كتب أحمد الجارحي

في سابقة فريدة من نوعها قام خليل أ . د بتقديم بلاغ عن وجود مقبرة فرعونية أسفل منزله وعلى الفور توجه المقدم فتحي بركات وبرفقته عالم المصريات الشهير الدكتور شكري أحمد السيد لكشف ملابسات تلك المقبرة والتأكد من صحة الخبر ، وبالفعل وجدوا مقبرة تعج بالقطع الأثرية الهامة وهي الآن تحت الدراسة والفحص ، كما صرح وزير الآثار بمكافأة خاصة وللمرة الأولى كشكرٍ لأصحاب ذلك المنزل حيث أمر ببناء متحف سيكون خاصاً بمقتنيات تلك المقبرة وتخصيص جزء من الأرباح التي سيحققها من بيع للتذاكر وخلافه لتلك الأسرة وذلك كوسيلة لتشجيع الجميع للإبلاغ بأي أثر يجدونه في منازلهم ووأد فكرة تهريبها للخارج.

انتهى